عبد الناصر.. هذا المواطن

ذكريات محمود فهيم

سكرتيره الخاص وحارسه



...لها بقلمه: سليمان الحكيم

مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر

عبد الناصر .. هذا المواطن

ذكريات محمود فهيم

سكرتيره الخاص وحارسه

سجلها بقلمه : سليمان الحكيم

هذا الرجل .. وذكرياته

هذا الرجل هو " أجندة " عبد الناصر...!

ولكن الحديث معه ليس مجرد تقليب فى صفحات قديمة.. فهو هنا لا يروى "قصة الامس".. ولا يبكى على« الاطلال » ولا يجتر "ذكريات" ولكنه فقط يتحدث عن جمال عبد الناصر.. ولهذا فهو يتحدث عن الحاضر.. والمستقبل !

لم يكن جمال عبد الناصر مجرد حاكم، او رئيس اعتلى الكرسى الذى اعتلاه العشرات من الحكام والملوك على مر التاريخ. ولكنه كان «مشروعا» للبناء والتحضر والتقدم. ومن هنا فانه كان رجلا ينتمى الى المستقبل ويرتبط بالغد .

وربما لهذا السبب - وحده - كان حديث محمود فهيم عن عبد الناصر هو حديث عن السيمفونية الناقصة " فى تاريخ مصر .

كلنا يعرف جمال عبد الناصر الرئيس الذى ثار.. وحرر.. وكافح.. وأمم.. وقرر.. واصدر.. واعلن.. ولكن القليلين منا من يعرفون عبد الناصر.. هذا المواطن كيف كان يعيش.. ويضحك.. ويبكى.. ويلبس.. ويأكل.. وينام.. ويغضب.. ويفرح.

هذا هو الوجه الآخر لجمال عبد الناصر الذى لا يعرفه سوى من كانوا قريبيين منه. ومحمود فهيم - سكرتيره وحارسه الخاص - كان واحدا من هؤلاء.. بل كان اكثر هؤلاء قربا منه.

ولعلنا لا نقول ان محمود فهيم يكشف لنا هنا اسرار عبد الناصر الخاصة ، فلم يكن فى حياته شىء خاص، يحق له ان يحتفظ به لنفسه، ولا يطلع الآخرين عليه . فقد كان عبد الناصر "ملكية عامة".. وكما أمم القناة والمصانع والمشروعات .. " أمم حياته" فاصبحت ملكا للامة !

ولعلى حين اقول ان حياة عبد الناصر كانت ملكا للامة لا اكون قد قلت ذلك سعيا وراء تعبير طريف .. او اصطيادا لمعنى جديد. . بل اقوله اقرارا للحقيقةالتى عاشها عبد الناصر فى بيته .. واقول "بيته" تجاوزا .. فلم يكن عبد الناصر يملك فى مصر كلها - "بيتا " - بل كان يقيم فى "منزل " تملكه الاشغال العسكرية .. وكل مافيه كان "عهدة " وقع عبد الناصر باسمه مقرا باستلامها .

هذا بعض مارواه لى محمود فهيم .. ضمن الكثير الذى يرويه هنا عن حياة عبد الناصر الخاصة .. بنا!!

سوف تفاجأ - كما فوجئت انا - بأن عبد الناصر كان يحب "الحرنكش".. وانه اندهش لان سكرتيره الخاص - وهو فلاح ابن فلاح - لم يكن قد سمع بهذه الفاكهة الشعبية التى يأكلها تلاميذ المدارس!

هناك اشياء كثيرة سوف تفاجئك هنا .. ولعل المفاجأة تأتيك لانك تنظر الى عبد الناصر من زاوية انه الزعيم والقائد .. ولم تسمح لنفسك بالنظر اليه من زاوية المواطن .. والانسان .

وحين تقول لنفسك "وماذا فى ذلك .. ألم يكن عبد الناصر انساناً ؟ تكون قد خلصت نفسك من الدهشة .. وبدأت تنظر اليه لتراه على حقيقته .. انسانا بسيطا .. ورجلا عاديا .

انه عبد الناصر.. هذا المواطن !

الذى ارجو أن اكون قد وفقت فى تقديمه لك .. بصورة مختلفة عما تكون قد رأيته فى بعض الاوراق الصفراء ..!!

سليمان الحكيم

القاهرة١٩٩٢

١

- عبد الناصر يرفض الإقامة فى قصر الطاهرة خوفاً على أولاده .
- حضر عبد الناصر ليشجعنى ففزت على بطل مصر فى الملاكمة !!
- بيت الرئيس كـان أقـرب مـا يكون إلى دوار العمدة !!
- أولاد الرئيس لا يرونه إلا فى السينما !!

كان عبد الناصر المواطن على عداء مع عبد الناصر الرئيس ففى الوقت الذى كان فيه كل مواطن فى مصر يحلم برؤية الرئيس عبد الناصر وملامسة يده كان هناك مواطن واحد لم يكن يراوده هذا الحلم. بل كان يحاول الهرب من الرئيس او التخلص من ملاحقته له هذا المواطن هو جمال عبد الناصر نفسه.. ان اجمل لحظات حياته هى تلك التى كان ينجح فيها فى الهرب من هموم الرئيس ومشاغله ليتجول فى الشارع او يجلس فى السينما ليشاهد احد الافلام، ولكن المواطنين الاخرين لم يكونوا يريدونه بينهم مواطنا عاديا.. فيتجمون حوله ويحاصرونه.. فيهرب الى المكان الوحيد الذى لا يستطيع احد فيه ان يسلبه هذا الحق حق المواطنة وهو البيت.. وفى البيت لم يكن عبد الناصر رئيسا او زعيما بل كان مواطنا وانسانا يلبس البيجامة «والشبشب» يأكل ويضحك «ويزعل» بل ويلعب وينكت احيانا !!

وفى البيت كان محمود فهيم – تلميذه وسكرتيره الخاص – هو اكثر الناس اطلاعا على احوال هذاالمواطن الانسان فهو المسئول عن تنظيم حياته الخاصة من مأكل وملبس ومسكن .

ظل محمود فهيم ملازما لجمال عبد الناصر منذ بداية الثورة وحتى وفاته.. وطوال هذه الفترة كان الرجل هو «اجندة» الرئيس الخاصة ولهذا فانه حين يتحدث فاننا فى الحقيقة نطالع معه يوميات جمال عبد الناصر المواطن والانسان : يقول محمود فهيم :

فى اليوم الاول من شهر سبتمبر عام ١٩٢٠ كان مولدى بقرية ميت ربيعة التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية ، كان والدى مفتشا بالزراعة ولهذا فقد نشأت فى اسرة ريفية يجمع عائلها بين الوظيفة والفلاحة، ولكن سرعان ما انتقل الوالد الى القاهرة ليعمل استاذا بكلية الزراعة فأخذ نا معه .

كنت لازال صغيرا حين تفتحت عيناى على القاهرة واضوائها الباهرة ولكن لم تبهرنى «أضواء المدينة » كما هو الحال غالبا مع الشبان القادمين مثلى من الارياف، فقد كنت رياضيا . بالاضافة الى نشأتى فى اسرة يتسم عائلها بالتدين والالتزام ، وقد حرص والدى على تعويدنا حياة منضبطة فيها الكثير من الجدية والصرامة ، لذلك لم اكن متبرما بتلك الحياة الصارمة التى عودنا عليها الوالد فقد اصبحت الجدية جزءاً من تكوينى النفسى بينما كانت الاستقامة هى شخصيتى التى لا اعرف غيرها .

ربما لهذا السبب لم يكن غريبا على من هو مثلى ان يلتحق بالكلية الحربية التى لم افكر ولو للحظة فى ان التحق بغيرها ،فهى الاتجاه الصحيح لشاب منضبط ، رياضى متدين لا يعرف شيئا عن حياة اللهو والعبث التى كا ن كثير ممن كانوا فى سنه يميلون اليها .

التحقت بالكلية الحربية عام ١٩٤٢ ، ولم تمض بضعة اشهر حتى اصبحت مشهورا بين الجميع لقد اصبح اسم محمود فهيم يتردد على السنة زملائه بالكلية بل ومدرسيه ، بعد ان هزم محمد المنيارى بطل مصر فى الملاكمة بالنقاط .

لم تكن الملاكمة هى الرياضة الوحيدة التى اجيدها بل كانت واحدة من الالعاب الكثيرة التى امارسها منذ فترة مبكرة فى صباى إذ كنت اجيد السباحة وكرة الماء ،وكنت حارس مرمى ممتازا فى فريق مدرستى الثانوية وفريق الكلية الحربية ايضا ،ولكن ظلت الملاكمة هى اللعبة التى افضلها على غيرها من اللعبات الكثيرة التى كنت اجيدها كأى لاعب مشهور ،ورغم ذلك لم افكر فى الاحتراف وبقيت هاويا رغم الاغراءات الكثيرة التى حملتها الىّ بعض العروض ممن جاءونى عارضين علىّ الاحتراف، ولكنى رفضت الفكرة تماما فلم يكن يدور بذهنى ان ابنى مستقبلى كله على مجرد عضلة قوية وضعها الله فى قبضة يدى اليسرى!

عبد الناصر يتفرج!

كنت أتمتع بقبضة قوية فى يدى اليسرى، اكسبتنى جميع المباريات التى خضتها فى الملاكمة سواء فى المرحلة الثانوية، أو فى مرحلة الدراسة بالكلية الحربية حتى جاء يوم مباراتى مع محمد المنباوى بطل مصر فى وزن خفيف الثقيل وهو وزنى الذى كنت العب فيه، وكان فى امكانى ان أفوز عليه فى اية لحظة اريدها بالضربة القاضية حيث كان فكه هو نقطة ضعفه التى أعرفها، ولكنى اردت ان أثبت جدارتى بالفوز عليه فقررت ألا استخدم هذه المرة قبضتى اليسرى الا مضطرا وفى نهاية المباراة. وفى اللحظة التى اعلن الحكم فوزى فيها، وجدت نفسى طائراً فى الهواء فقد قفز زملائى بالكلية الحربية إلى الحلقة وحملونى فوق اعناقهم وتقاذفونى فيما بينهم قبل ان انجح فى التخلص منهم والوصول الى الارض سالما !

كنت حريصا على الفوز فى هذه المبارة بالذات، خاصة حين وقع نظرى على جمال عبد الناصر - استاذى بالكلية الحربية - بين صفوف المتفرجين، كنت سعيدا جدا بحضوره وكانت سعادتى اكثر بتشجيعه لى وهو ما ملأنى اصرارا على الفوز، فلم اكن اتخيل نفسى فى صورة المهزوم امام استاذى الذى أحبه واقدره كما لم اتخيله وهو مكسور الخاطر بسبب هزيمتى.

لم أكن الوحيد الذى يحب جمال عبد الناصر، ويحترمه فقد كانت هذه هى صورته فى نظر جميع تلاميذه بالكلية الحربية، كنا جميعا نتسابق على ارضائه، والفوز بثقته واحترامه ومن بين جميع الذين يقومون بالتدريس بالكلية الحربية كان جمال عبد الناصر هو الوحيد الذى يتمتع بهذه الصورة فى نظر الطلاب جميعا.

كان عبد الناصر يتميز بخصال كلها حميد ومشكور، وكان يكفى لخصلة واحدة منها ان تجعله محبوبا ومحترما فى نظر الجميع. ولكن اجتمعت فيه كل تلك الخصال لتجعل منه نموذجا للرجل، والاستاذ، والاخ الاكبر والقائد ولعل الاهم فى ذلك كله. انه لم يكن "متكلفا" أو متصنعا لأية خصلة كانت فيه. كان جادا "ودوغرى" ولبقا، وشهما، وصريحا، وعطوفا فى تلقائية.. وهذا هو اهم ما كان يميزه.

وتمام يافندم !!

ذات يوم استيقظت مبكرا لأداء تمرينات السباحة التى كنت أؤديها كل صباح ثم ذهبت لأداء تمرينات "السويدى" واللياقة البدنية وبعدها ذهبت لأداء تدريبات كرة القدم والجرى ثم تدريبات الملاكمة وأمضيت يومى كله فى تدريبات متواصلة، حتى وجدت نفسى فى نهاية الامر مرهقا وتعبا، فذهبت الى الرقيب "الدنف" المسئول عن سريتى بالكلية الحربية واخبرته بان حالتى لن تسمح بحضور طابور التمام واستأذنته ان أبقى بالمهجع (العنبر) للراحة. فوافق.

ذهبت الى المهجع لأستريح بينما ذهب جميع زملائى الى طابور التمام وبقيت وحدى فى "العنبر" .. وفجأة وجدت شخصا يدخل علىّ، وحين تبين لى انه جمال عبد الناصر. انتفضت واقفا. وقد بدا علىّ الارتباك واضحا. فتقدم منى وسألنى : ماذا تفعل هنا يافهيم ولماذا لم تحضر طابور التمام؟ شرحت له الامر وأخبرته أننى أستأذنت الرقيب«الدنف» لأبقى فى المهجع للراحة.. فقال لى عبد الناصر بعد لحظة تفكير: تفضل ارتاح ولكن لا تعملها مرة اخرى. انصرف عبد الناصر الى طابور التمام، وتوجه من فوره الى الرقيب «الدنف» وسأله عن تمام السرية فأخبره بان السرية «تمام» فسأله عبد الناصر عن الطلاب الغائبين فأخبره بان السرية «تمام» فلم يعلق عبد الناصر واكتفى بالابتسام.

لو كان عبد الناصر شخصا أخر، لوجدها فرصة ليظهر امام الجميع فى صورة القائد الذى لا تخفى عليه شاردة أو واردة من أمر الطلاب، وانهال بالتقريع واللوم على رقيب السرية ووقع عليه عقابا لانه كذب عليه. ولكن عبد الناصر – الذى أعرفه جيدا – رفض ان يقلل من شأن الرقيب امام مرءوسيه من الطلاب كما رفض ان يعاقبه على موقف انسانى اتخذه تجاه أحد الطلاب وتجاهل الامر كله.. واكتفى بالابتسام .

كان عبد الناصر– كما قلت – جادا، ودوغرى وبالرغم من أن كثيرا منا كان يعلم بالعلاقة الاسرية التى تربطه بزميلنا الطالب محمود الجيار، الا اننا لم نشعر فى لحظة من اللحظات ان الجيار قد تميز علينا فى شىء بسبب هذه العلاقة، بل على العكس. كان عبد الناصر يقسو على الجيار أحيانا. فى بعض المواقف التى كانت تحتاج منه الى القسوة بالرغم من ان والد الجيار ووالد عبد الناصر كانا صديقين، حين كان الحاج عبد الناصر يعمل فى مركز بريد «الخطاطبة» – بمديرية البحيرة حيث كانت تقيم عائلة الجيار..

بعد تخرجى من الكية الحربية عام ١٩٤٦ انقطعت عنى اخبار جمال عبد الناصر، حتى فوجئت ذات يوم من ايام شهر يوليو عام ١٩٥٢. بأسمه يتردد فى اوساط الجيش على انه القائد الحقيقى للثورة.. كان اسم اللواء محمد نجيب فى ذلك الوقت هو الذى يأتى فى المقدمة دائما، ولم يكن جمال عبد الناصر سوى «واحد» من الضباط الاحرار الذين قاموا «بالثورة المباركة». وهكذا كانت تطالعنا صحافة تلك الايام، ولكن ما كان يتردد فى الاوساط العسكرية

هو أن جمال عبد الناصر هو الذى قاد العملية من ألفها الى يائها. وان محمد نجيب لم يكن سوى «واجهة» زجاجية للثورة !

وأصبحت حارسه

وبالرغم من علاقتى الممتازة به حين كان استاذى بالكلية الحربية، الا اننى لم أحاول الاتصال به ولو مرة واحدة حتى بعد ان أصبح زعيما للثورة ورئيسا للجمهورية بعد تنحية محمد نجيب. ولكن وقع حادث «المنشية» وهو الحادث الذى أطلق فيه الاخوان المسلمون النار على جمال عبد الناصر، بينما كان يلقى خطابه فى ميدان المنشية بالاسكندرية فى يوليو ١٩٥٤. فسارعت بالذهاب اليه للاطمئنان. وقد وجدت من الواجب علىّ ان أكون بجانبه فى مثل هذه الظروف الحرجة.

ذهبت اليه فى صباح اليوم التالى لحادث المنشية فى استراحته بحى «ستانلى» استقبلنى بحرارة عند رؤيته لى لأول مرة منذ ثمانية أعوام تقريبا. وبعد ان جلست معه فترة من الوقت. وجدتنى أقول له اننى لن اتركه فى هذه الظروف، «وسوف ابقى بجانبك حتى لو كلفنى الامر حياتى فمن غير المعقول ان اراك هدفا للاعتداء والضرر وابقى مكانى لاتفرج على مايحدث دون ان افعل شيئا فى امكانى ان أفعله».

هدأنى عبد الناصر وربت على كتفى قائلا: خلاص خليك معايا.

كنت فى ذلك الوقت ضابطا بسلاح مدفعيه السواحل بالاسكندرية. فذهبت من فورى الى الوحدة لانهى اجراءات انتقالى الى رئاسة الجمهورية، ثم ذهبت الى بيت الرئيس فى منشية البكرى لأنضم الى حرسه الخاص.. كنت الوحيد من الجيش الذى يضمه الحرس الخاص لجمال عبد الناصر، فقد كان جميع طاقم الحرس ينتمون الى الشرطة، وبعد التحاقى بحراسة عبد الناصر عرفت اننى الوحيد الذى اختاره عبد الناصر بنفسه من بين جميع الذين يعملون معى لحراسته.. فلم يكن مهتما بهذه المسألة اهتماما خاصا وترك أمرها لمن يعملون معه.

بيت العمدة!

بعد ايام من التحاقى بالعمل فى حراسة عبد الناصر قرر تعينى سكرتيرا خاصا للعمل مع محمد أحمد سكرتيره الخاص، وبذلك اصبحت أجمع بين الحراسة والسكرتارية الخاصة لجمال عبد الناصر.

حين كنت فى طريقى من الاسكندرية الى بيت عبد الناصر لاول مرة، كنت اتخيله قصرا أو منزلا فخما يليق باسم عبد الناصر الذى كان يملأ الدنيا صيتا وشهرة، ولكنى فوجئت ببيت

متواضع، اقرب ما يكون «لدواء العمدة» أو شيخ الغفر» فى احدى القرى المصرية.. وحين سألت عرفت انه كان بيتا لمدير المدرسة الثانوية العسكرية، وقد اختاره عبد الناصر ليقيم فيه بعد ان اصبح رئيسا لمصر، دون ان يضيف اليه ايه تحسينات وحين فاتحت الرئيس فى هذا الامر، وطلبت منه ان ينتقل الى بيت أفضل يليق به كرئيس لمصر، رفض ذلك بل ورفض ان اتحدث معه فى هذا الشأن مرة ثانية.

ولكن بعد ان كثرت زيارات زعماء العالم ورؤساء الدول الى بيت عبد الناصر، بدأ يقتنع بأن البيت اضيق من ان يتسع لهذا العدد الكبير من الوفود الزائرة مما كان يسبب لنا - وله - الاحراج فى كثير من الاحيان امام زائريه من الاجانب.

انتقل عبد الناصر الى الاسكندرية فى شهور الصيف. ريثما ننتهى من التحسينات المطلوبة فى بيته ليصبح مناسبا لسكنى رئيس مصر، وأحد كبار الزعماء فى العالم، وترك لنا الامر دون ان يزودنا بأية تعليمات أو طلبات خاصة بهذا الشأن.

اتصلنا بالاشغال العسكرية فحضر الينا المهندس على السيد، وطلبنا منه عمل التحسينات والتوسعات اللازمة بالبيت على ان يقيم بالطابق الارضى صالة كبيرة تصلح للاجتماعات أو اقامة المآدب. هذا ماقلته للمهندس على السيد بخصوص تلك الصالة. أما ما كان يدور فى ذهنى وقتها هو ان تكون هناك صالة واسعة تصلح للعرض السينمائى، حيث كانت مشاهدة الافلام هى متعة عبد الناصر الوحيدة فى ذلك الوقت.

عبد الناصر فى السينما

كان عبد الناصر يهوى مشاهدة الافلام الاجنبية بخاصة، وحين كان يريد مشاهدة أحد الافلام المعروضة كان يطلب منى أو من محمد احمد ان نحجز له «لوج» فى السينما التى وقع عليها اختيار فيلمها المعروض. وكان يذهب بمفرده أو معه عبد الحكيم عامر. ولم يكن يصطحب زوجته أو أولاده معه. وكثيرا ما كان ينتبه المشاهدون لوجود عبد الناصر بينهم أو أثناء دخوله أو خروجه فكانوا يتركون الفيلم وينصرفون اليه متطلعين أو محيين أو متجمهرين وهو ما كان يسبب حرجا وضيقا له.

كان عبد الناصر حريصا على ان يحضر الى السينما كمشاهد عادى دون أية اجراءات أمنية بل ودون أية ترتيبات مسبقة. ورغم ذلك فقد كان الناس ينتبهون لوجوده بينهم. الامر الذى يفسد عليه وعليهم متعة المشاهدة ولهذا فقد كان حريصا على ان يتسلل الى السينما بعد بداية العرض مباشرة، حين تكون الانوار قد اطفئت تماما، ثم يتسلل خارجا قبل النهاية.. أى قبل ان يعاد للصالة اضواؤها. ولهذا السبب رأيت ان تضيف الى البيت صالة للعرض

السينمائى لنوفر للرئيس فرصة لمشاهدة الافلام التى يريد مشاهدتها متجنبا عناء الذهاب الى السينما، وماكان يسببه له من احراج وضيق، ولم يكن الرئيس يعلم شيئا من أمر هذه الصالة السينمائية. فقد اردتها مفاجئة سارة له.وبالفعل حين عاد الى منزله وسأل عن هذه الصالة.. ولماذا هى كبيرة على هذا النحو. قلت له انها صالة اجتماعات، كما تصلح للطعام فى حالة حضور وفود أجنبية لزيارة الرئيس فى بيته.. ثم أضفت قائلا: وبالمرة يمكن تحويلها الى صالة سينما وقت الضرورة.

بدت عليه امارات السعادة. واكتفى بان هز رأسه مبتسما وأضفت السينما على بيت الرئيس جوا اسريا كان يفتقده فى السابق فقد كان الرئيس بحكم مسئولياته الكثيرة، بعيدا عن أولاده معظم الوقت، وجاءت السينما فى البيت لتعيد الى الاسرة شملها من جديد، فقد وجد الاولاد أباهم وقد عاد ليجلس بينهم بعد أن كانوا لا يرونه الا نادرا.

الطاهر..والطاهره !!

حين عاد عبد الناصر من الاسكندرية، لم تكن الاعمال بالمنزل قد انتهت بعد، فاضطر للسكن مؤقتا بقصر الطاهرة، ريثما تنتهى التعديلات والاصلاحات فى منزله، وفى صباح اليوم التالى استدعانى الرئيس بالتليفون وفى صوته لهجة غير عادية.ذهبت من فورى الى الرئيس بمكتبه بالقصر فوجدته متبرما على غير عادته، وما ان رأنى حتى سألنى: البيت فى منشية البكرى اخباره ايه يافهيم؟ فقلت له: لسه شوية ياريس فقال غاضبا: أمال الجيار قال لى ليه انه خلاص، لو كنت اعرف كدا ماكنتش حضرت من الاسكندرية.سألت الرئيس عما يضايقه فقال لى: انا مخنوق هنا يافهيم، مش عارف أنام، وكمان مش عايز أولادى ياخدوا على حياة القصور لأنهم هيطلعوا من عامة الشعب !!

هذا هو الرجل الذى ملأ اسماع الدنيا وأبصارها لا يطيق العيش فى أحد القصور لعدة أيام فقط. ولا يريد لاولاده الا ان يكونوا من عامة الشعب ويخشى عليهم من التعود على حياة القصور فيميعهم الترف ورغد العيش.

نظر الى الرئيس ثم قال: اذهب الى الطباخين وقل لهم ان الرئيس لا يريد لحماً ودجاجا مشويا ومحمرا. انه لا يريد أكثر من صنف واحد خضار وطبق ارز وقطعة من اللحم.. وفى العشاء لا اريد سوى الجبن والزيتون فقط لانى لا اريد كل هذا الاكل الذى يقدمونه لى.

كان عبد الناصر قنوعا وبسيطا. وقد تصور الطباخون ان انتقاله الى القصر سوف يغير من عاداته فى الطعام للتناسب مع حياة القصور فأخذوا يعدون اصنافا فخمة من الطعام لم يكن قد اعتاد عليها فى بيته، وخشى ان يكلمهم بنفسه فى الامر فيشعرون انه غير راض

عنهم، فحملنى اليهم بتلك الرسالة.

الكارو..والكاديلاك !!

لقد كان عبد الناصر فى بيته مواطنا عاديا، ولم يكن يتظاهر أو يتصنع هذه لصورة أمامنا.. لأننا كنا نعرفه قبل وبعد ان اصبح رئيسا وزعيما.. فلم نجد شيئا فيه قد تغير منذ ان كان مجرد مدرس بالكلية الحربية. وكثيراً ماكان يتشوق لحياته حين كان مواطناً عاديا فكان يطلب منى أن ننزل الشارع «لنتمشى شوية».. وكان يقود سيارته بنفسه فى الشوارع.. ويتفرس فى وجوه الناس. وحين كان الناس ينتبهون لوجوده فيتجمعون حوله كان يتضايق ويقرر العودة الى المنزل.

لقد كان يريد الاستمتاع باحساسه بانه واحد من الناس، ولكن الناس انفسهم هم الذين كانوا يفسدون عليه هذه المتعة وكانهم لا يريدون ان يصدقوا انه مجرد واحد منهم.

ذات يوم كنا نتمشى بسيارته فى احد شوارع الاسكندرية، وفجاة ظهرت امامنا عربية «كارو» يجرها حمار قطعت علينا الطريق. فطلبت من الرئيس ان يوقف السيارة بسرعة فأحدث صوتا مزعجا ولكنا توقفنا بالكاد قبل ان نصطدم «بالحمار». ووجدت الرئيس يطل من نافذة السيارة ويعتذر للرجل بالرغم من انه هو الذى كان مخطئا.

وفى إحدى المرات كنا ذاهبين الى الاسكندرية بالطريق الصحراوى..كان عبد الحكيم عامر يرافقه.. بينما كنت انا فى سيارة الحرس خلفهما.. وعند مدخل الاسكندرية أوقفنا عسكرى مرور. ثم أخذ يدور حول السيارة يالكاديلاك» «التى يركبها عبد الناصر يتفرسها بعينيه. ونزلت فورا من سيارتى وتقدمت من العسكرى لانهره. ولكن عبد الناصر اسرع بايقافى باشارة من يده. ثم قال لى «خذ اسمه» وهنا انتبه عسكرى المرور فجأة حين نظر الى داخل السيارة فوجد عبد الناصر وعبد الحكيم عامر.. وكأن شللا قد أصابه.

تركناه على حاله ومضينا فى طريقنا. وقبل ان نقطع خمسين مترا وجدت عبد الناصر يتوقف بسيارته فجأة. ليطلب منى ان أعود الى العسكرى واطمئنه.. «لان العسكرى الغلبان مش هينام الليلة دى».

قال ذلك ثم مضى فى طريقه !!

ooo

٢

- عبد الناصر كان يحب « الجبن » .
- قدم الطباخون له الحمام المشوى .. فقال لهم : «هو أنا بتاع الكلام دا»؟
- تحية عبد الناصر تطلب نصف كيلو سمك.. فرفض الساعى !
- هذه حقيقة مصروفاته السرية .
- طلبنا علاوة للرئيس لأن مرتبه لم يعد يكفى.
- نصحت الرئيس بممارسة الرياضة.. فقال لى : إنت عايزنى اجرى فى الشارع ؟
- إقترحت إنشاء حمام سباحة بالبيت.. فرفض الرئيس حرصا على أموال الناس.
- عبد الناصر يشرف على الغرق .. رافضاً محاولة إنقاذه .

ما الفرق بين العناد.. والاصرار ؟

قد يكون مثل هذا السؤال مناسبا فى فقه اللغة.. أما فى فيما يتعلق بالتاريخ، فان المسألة ستبدو - ولاشك - مختلفة.

فاذا قرأ أحدنا قصة رجل نزل الى البحر سابحا نحو هدف حدده بنفسه فاذا بالامواج تتقاذفه يمينا ويسارا.. ويبلغ به التعب مداه فيهرع اليه من يحاول مساعدته.. ولكن الرجل يرفض مصرا على الوصول الى هدفه مهما كان الثمن.. ويصل فى النهاية الى هدفه، ويرتمى على الشاطىء بين الحياة والموت.

اذا قرأ أحدنا قصة كهذه لابد وأن يبدى اعجابه «ببطلها».. واذا طلبت منه ان يضع عنوانا لها فلن يجد سوى كلمة «اصرار».. ولكن حين نعرف ان بطل تلك القصة اسمه جمال عبد الناصر فهنا لابد وان يحدث الخلاف.

فربما غير هذا الشخص رأيه فى عنوان القصة فوضع كلمة «تهور» أو «عناد» بدلا من كلمة «اصرار» التى كان قد اختارها قبل ان يعرف الاسم الحقيقى لبطل القصة !

ألم أقل لكم ان التاريخ شىء.. والادب شىء أخر مختلف؟

ان الفرق بين الاصرار والعناد.. أو بين التهور والشجاعة.. ليس مجرد فرق فى اللغة.. ولكنها فروق تاريخية وجغرافية واجتماعية وثقافية.. الخ.. فاذا كان عبد الناصر شجاعاً فى نظر انصاره.. فانه كان «متهورا» فى نظر خصومه، وما يسميه البعض اصراراً يسميه الآخرون عنادا.

ونتابع رحلتنا مع محمود فهيم.. ليروى لنا القصة بنفسه لنرى بانفسنا الفرق بين عبد الناصر العنيد.. وعبد الناصر المصر:

لم يكن جمال عبد لناصر من ذلك النوع من الناس الذين يستمتعون بأكلهم، لم تكن لديه متعة الاكل ابدا. اذ انه كان يأكل ليعيش أى انه يتناول من الطعام ما كان يقيم أوده فقط.. ولم يكن لديه أى نوع يفضله على انواع الطعام الاخرى فيما عدا الجبن الابيض والزبادى وهو الطعام الوحيد الذى كان يكثر من أكله اكثر من غيره.. ولهذا فقد كان اهتمامنا الوحيد.. نحن المسئولين عن حياة عبد الناصر الخاصة.. هو ان ننتقى له أفضل انوا ع الجبن الابيض.. ولم يكن من عاداتنا ان نبحث له عن الافضل الا فى الجبن فقط.

كان افطاره مكونا من الخبز والجبن فقط.. ثم يتناول بعده كوبا من الشاى.وفى احيان كثيرة كان يتناول كوبا من الشاى او فنجانا من القهوة فقط، دون ان يتناول معه اى شىء من الطعام. وفى الغذاء كان يأكل الارز الى جانب طبق من «خضار الموسم» ولم يكن يتناول اكثر من نوع واحد من أنواع الخضار. وفى اليوم التالى نقدم له نوعا آخر من الخضار مع قطعة

صغيرة من اللحم. وفى العشاء غالبا ماكان يتناول عشاء خفيفا لا يزيد على الجبن والزيتون بالاضافة الى الخبز طبعا. أما «الحلو» لم يكن معتادا عليه، وكان يقدم بناء على تعليمات مسبقة.. اى أنه يأمر بتقديم نوع من الحلو مع الغداء منذ الصباح، اذا كان يرغب فيه.. وقلما كان يرغب فى انواع الحلويات.. اذ انه كان يعتبر كوب الشاى الذى يتناوله عادة بعد الطعام هو «الحلو» الذى يعقب الاكل.

يحتج على الطعام

كانت هذه هى عادات عبد الناصر فى الطعام ولم يغيرها طوال حياته الا مرة واحدة. حين خرج من بيته ليقيم مؤقتا فى قصر الطاهرة ريثما ينتهى عمل بعض الاصلاحات فى بيته القديم بناء على الحاحنا نحن بعد ان ساءت أحوال البيت، ولم يعد يليق باقامة رئيس مصر، وقد ظل عبد الناصر يرفض اى اصلاح بالبيت الا بعد ان تعددت زيارات الرؤساء والزعماء من مختلف انحاء العالم لبيته، وقد ظهر نتيجة لذلك ان البيت يحتاج لبعض التعديل والاصلاح ليصبح لائقا لمثل هذه المناسبات.

انتقل الرئيس ليقيم فى قصر «الطاهرة» مؤقتا.. وهو من القصور الملكية التى خصصت بعد الثورة لاقامة الضيوف من كبار الزعماء الذين كانوا يزورون مصر، ولان القصر كان مخصصا «للضيافة» فان الطباخين والعاملين بالقصر كانوا منتقين بطريقة خاصة تتناسب مع مقتضيات الضيافة. كما ان برنامج الطعام الذى زود به طباخو القصر كان برنامجا للضيوف ولهذا فانه حين انتقل عبد الناصر ليقيم فى قصر الطاهرة، كان يجب ان ننبه على ناظر القصر بتغير برنامجهم ليتناسب مع عادات الرئيس فى الطعام. ولانها فترة مؤقتة فقد نسينا ان نزود المشرفين بتلك التعليمات.

وفى صباح اليوم التالى لاقامة الرئيس بالقصر، فوجئت به يطلبنى على الفور لمقابلته وعند رؤيتى له، كانت هيئته توحى بأن شيئا عظيما قد حدث. فقد كان الرئيس متبرما وضجرا على غير العادة. وحينما سألته رد علىّ ثائرا: ايه «العك» اللى انتم عاملينه دا؟.. فقلت له: خيرا يافندم. فقال: كل يوم حمام وفراخ وحمام.. شىء مشوى، وشىء مقلى، هوانا بتاع الكلام دا؟ حاولت ان اهدىء من ثورته، وقلت له معتذرا اننا نسينا ان نبلغ طباخى القصر باية تعليمات عن الطعام. فقدموا برنامجهم العادى الخاص بالضيوف.

طلب عبد الناصر منى ان أعطيهم التعليمات الفورية بتغير البرنامج، وان يقدموا له ما اعتاد عليه فى بيته. فهو لا يريد ان يتعود أولاده على حياة القصور وأكلها لانهم سيعودون الى حياة الشعب فى يوم من الايام !

https://t.me/montlq

أول وآخر مرة

هذا اكثر ما كان يضايق عبد الناصر فى تلك الايام التى قضاها فى قصر الطاهرة.. وهى المرة الاولى التى يعيش فيها فى قصر وربما كانت الاخيرة ايضا فلم يحدث بعد ذلك ان ترك بيته الذى عاش فيه منذ بداية الثورة وحتى مات فيه عام ١٩٧٠.

لم يكن فى بيت عبد الناصر سوى طباخ واحد ومساعد له. كان المطبخ صغيرا ولا يتسع لاكثر من ذلك، كما ان الاصناف ، والكميات التى تطبخ كانت قليلة فكانت تكفى الرئيس وأولاده. وكانت السيدة الجليلة «تحية كاظم» زوجة الرئيس تشرف على اعداد الطعام بنفسها فى كثير من الاحيان. كما كانت تشرف على نظافة المطبخ والطباخين.. وكانت توصى يوميا بانواع الطعام المطلوبة. وتقدم بها قائمة فى الصباح للموظف المسئول عن المشتروات ببيت الرئيس واسمه «حامد داود» الذى كان يحمل القائمة ويذهب الى السوق يوميا لشراء ما تتضمنه من اشياء مطلوبة.

اذكر انه جاء فى ذات يوم - وكنا بالاسكندرية - وقال لى ان «الست» طلبت منه ان يشترى نصف كيلو سمك «بربونى».. وهو نوع من الاسماك كان الرئيس يحبه كثيرا. وسألت «حامد داود» مندهشا: وماذا فى ذلك؟ فقال لى: ان بائع السمك بالذات يعرفه. ويعرف انه يعمل فى بيت الرئيس وان السمك لابد وان يكون لبيت الرئيس. فكيف يطلب نصف كيلو فقط؟ قلت له: اذهب ونفذ التعليمات ولا شأن لك بما تطلب «الست» وذهب «حامد داود» وهو متضايق!

طباخ السم !

كان هناك الطبيب الخاص بالرئيس وكان يشرف على نظافة المطبخ والطباخين من الناحية الصحية. ولكنه نادرا ماكان. هو أو أى أحد منا يتذوق الطعام قبل تقديمه على مائدة الرئيس ليتأكد من سلامته. فلم يكن هذا الامر يشغل الرئيس أو يشغلنا. فجميع العاملين ببيت الرئيس كانوا محل ثقته الكاملة اذ كانوا جزءا من عائلته. ولم يكن اى منهم يشعر فى يوم من الايام انه يعمل ببيت الرئيس أو موظف عنده ولكنهم كانوا جميعا يشعرون بانهم افراد بالاسرة وكان الواحد منهم يقول « عندنا فى البيت » ويقصد بالطبع بيت الرئيس .

كان الموظف المسئول عن المشتروات ببيت الرئيس يجتهد قدر طاقته الا يكون معروفا فى السوق.. كانت هذه هى التعليمات الصادرة اليه منا، وذلك كجزء من الاحتيطات الامنية التى كنا نتبعها حفاظا على أمن الرئيس وسلامته.. فقد كنا حريصين على ان يكون تعاملنا خاصة فى مسائل الاكل والشراب مع بائعين لا يعرفوننا حتى لا يكونوا ثغرة يتسرب منها اى شيء يهدد حياة الرئيس وعائلته .

من طبق واحد

كان هناك سفرجى واحد فى بيت الرئيس.. كان هو المسئول عن تقديم الطعام على المائدة وكان موظفا بالرئاسة. ولم يحدث ان شغل هذه الوظيفة شخص غير مصرى، وكان عبد الناصر حريصا على ان يأكل الطباخ والسفرجى من نفس الطعام الذى يقدم الى الرئيس وعائلته.. وكانت السيدة «تحية تتأكد بنفسها من أنهم تناولوا طعامهم. وكانت تعمل حسابها فى قوائم المشتروات فتزيد من الكميات بما يكفى الجميع. ولذلك فإنه نادرا ما كانت تفيض كميات عن حاجة البيت.

وحين أصيب الرئيس بمرض السكر، نصحه الاطباء بان يتبع برنامجا خاصا فى غذائه ليتناسب مع كونه مريضا بالسكر. وبطبيعة الحال لم يكن هؤلاء الاطباء يعرفون ان الرئيس مقل بطبيعته فى الطعام. ولهذا فإنه لم يكن فى حاجة لاجراء اى تعديل على برنامجه اليومى. فاستمر فى عاداته الغذائية اليومية دون اى تغير يذكر. وحين لاحظنا ان الرئيس أصبح مقلا فى طعامه عما كان من قبل – وهو قليل أصلا – اشفقنا عليه ولكنا جاهدنا قدر طاقتنا الا نظهر ذلك أمامه. حرصاً على مشاعره. فقد كان اكثر شىء يثير غضبه هو ان يشعر انه محل شفقة من المحيطين به. ولذلك فقد كان من عاداته فى حالة المرض الا يظهر أمام أحد. حتى اقرب المقربين اليه انه يتألم أو يعانى، رغم احساسنا بانه كان فى غاية الالم والمعاناة.

كان الرئيس حريصا على ان يتفقد أحوال العاملين بالبيت بنفسه، فكان يخرج ليتحدث الى جنود الحرس عن أحوالهم المعيشية. وأحوال عائلاتهم واذا أحس بأن أى شخص منهم فى حاجة الى مساعدة. كان يكتفى بان يعرف اسمه. ثم يعود الىّ أو الى محمد أحمد ويطلب ان يعطى الجندى فلان مبلغ كذا. فكنا نفعل على الفور. وكان لا ينسى ان يسألنا عما اذا كنا فعلنا ذلك أو لا.. واحيانا كنا ننشغل عن تنفيذ أومره فى هذا الشأن – بسبب كثرة مسئولياتنا – فكان يذكرنا.. ويعاتبنا على نسياننا.

المصروفات السرية

كان مرتب عبد الناصر كرئيس للجمهورية لا يزيد عن خمسة الاف جنيه سنويا، بواقع ٤٥٠ جنيه شهريا. ولكن مع زيادة اعبائه بسبب كثرة الضيوف والزوار لبيته طلبنا عمل بند خاص للضيافة والمناسبات التى تقام بالبيت، وقد تم ذلك فعلا. حتى لا تصبح الضيافة عبئا على مرتب الرئيس المخصص له ولأولاده.

كان محمد أحمد يوقع باستلام مرتبه شهريا. ولم يكن من عادة الرئس ان يحتفظ بنقود فى جيبه. بل كنا نحن المتصرفين فى مرتبه وكان كل شىء نشتريه بفاتورة.

أما المصروفات السرية فلم تكن تتجاوز الخمسة الاف جنيه على مدى العام كله، وكان مسئولا عنها وزير شئون رئاسة الجمهورية. وكانت تصرف بأوامر من الرئيس شخصيا. أما اوجه صرفها فقد كانت للاغراض الخاصة أو العلاقات العامة.. على سبيل المثال كان يصرف منها للمآدب الرسمية التى كان الرئيس يقيمها فى بيته تكريما للوفود الاجنبية الزائرة. وهى كانت لا تنقطع نظرا للمكانة التى كان يتمع بها الرئيس عالميا.. كذلك فقد كان الرئيس يأمر باعطاء بعض المساعدات المالية لبعض العاملين معه بالبيت فى مناسبات خاصة. كزواج أحد الابناء مثلا. كانت تلك المساعدات تصرف من بند «المصروفات السرية» وفى بعض الاحيان كان الرئيس يقدم مساعدات مالية لبعض اقاربه من المحتاجين. كما كان يأمر بصرف بعض المبالغ لنا ليعيننا على أعباء المعيشة.. خاصة وان مرتباتنا لم تكن تزيد شيئا عن مرتبات الموظفين فى المصالح الحكومية الاخرى. بالرغم من اننا كنا نعمل ليل نهار وليس عددا محددا من ساعات العمل مثل غيرنا من موظفى الحكومة. ورغم ذلك فان احدا منا لم يحصل على اكثر من ثلاثين جنيها شهريا.. فوق مرتبه العادى.. ولم يحصل على هذه الزيادة «الكبيرة» أكثر من عدد محدود من موظفى الرئاسة لا يزيد على أصابع اليد الواحدة، أما باقى زملائنا من الموظفين.. فمنهم من كان يحصل على عشرة جنيهات أو خمسة. ولكن فى أغلب الاحوال فان تلك الزيادة التى كانت تصرف من بند «المصروفات السرية» لم تقل عن خمسة جنيهات ولم تزد على ثلاثين نيها فى الشهر.

لا .. للفخفخة !

لم يكن الرئيس ميالا بطبيعته لحياة الفخفخة والابهة بل كان معروفا بالزهد والتقشف، كانت سيارة الرئيس من نوع مرسيدس» القديم، كانت هناك سيارتان من هذا النوع العتيق مخصصتين لتنقلات الرئيس الرسمية وكانت هناك سيارة واحدة مخصصة لعائلته وأولاده أما السوقون فكان هناك اثنان للرئيس واثنان للعائلة يتناوبان فى العمل على السيارة المخصصة لها.

كانت «الست» زوجة الرئيس مقلة فى تنقلاتها خارج البيت، وقد يمر عليها الشهر دون ان تخرج فيه مرة واحدة خارج البيت، ومعظم المرات التى خرجت فيها كانت لزيارة أقاربها خاصة فى حالات المرض أو المناسبات السعيدة وكانت حريصة على أن تذهب بنفسها للتهنئة والمجاملة نيابة عن الرئيس. الذى لم تكن كثرة مشاغله تسمح له بالقيام بهذه المسئوليات العائلية. فكانت «الست» تنوب عنه فى أكثرها وغالبا ما كانت تذهب بمفردها مع حارس خاص فى سيارة مرافقة.أما الاولاد فكانوا يذهبون الى مدارسهم فى نفس السيارة. وكان يرافقهم حارس خاص فى الذهاب والعودة.

وحين كانت اسرة الرئيس تحتاج لبعض المشتروات الخاصة كاللبس مثلا كانت «الست» تحية تعهد الينا بشراء ما يلزمها أو يلزم الانجال ونادرا ما كانت تنزل السوق لتشترى بنفسها. وحين كبر الاولاد وأصبحوا قادرين على التصرف بمفردهم كانوا ينزلون بانفسهم لشراء حاجياتهم من اللبس وغيره.

كان أولاد الرئيس يلعبون فى حديقة البيت وكانوا يدعون بعض زملائهم بالمدرسة للعب معهم خاصة أولاد النواب وأعضاء مجلس قيادة الثورة، وأولاد بعض أقاربهم

يجرى فى الشارع !

حين كثرت أعباء الرئيس ومسئولياته.. ووجدته منخرطا فى عمل لا ينتهى.. بدأت الاحظ عليه بعض امارات الارهاق والتعب، فأقترحت عليه ذات يوم ان يمارس نوعا من الرياضة يروح بها عن نفسه ويجدد نشاطه فسألنى مندهشا: وأين أمارس الرياضة؟ هل اذهب الى أحد الاندية. أم تريدنى أن اجرى فى الشارع؟

قلت للرئيس: ليس الامر بهذه الصورة.. مارأيك ان نقيم ملعبا للتنس هنا بحديقة البيت؟ انها فرصة لكى تمارس انت الرياضة ويمارسها معك الولاد.

استحسن الرئيس الفكرة.. ولكنه سألنى: وكم سيكلف هذا الملعب؟ فقلت له:

انه لن يكلف شيئا اكثر من الكرة ومضربين وشبكة. فقال الريس «على بركة الله».

كان من عادة الرئيس دائما ان يسأل عند طرح أحدى الافكار عليه: كم سيكلف تنفيذها؟ انه كان حريصا - كأشد مايكون الحرص - على الا يرهق ميزانية البيت أو يحملها بعض الاعباء الاضافية لأنه كان يعلم انها ستكون على حساب جوانب أخرى ضرورية وكانت قلة تكاليف اية فكرة جديدة نعرضها عليه عاملا هاما فى اقتناعه بتنفيذها، واذكر هنا - على سبيل المثال - اننى طلبت منه ان يوافق على انشاء حمام سباحة صغير بحديقة البيت ليمارس فيه هوايته المفضلة في السباحة. بالاضافة الى تشجيعه على الرياضة التى ارى فيها مخرجا مناسبا له من غمرة العمل وكثرة المشاغل وارهاقها.

فكر الرئيس قليلا ثم سألنى سؤاله المعهود: وكم سيكلف هذا الحمام؟

قلت له سأطلب من المهندس على السيد عمل الرسوم اللازمة، وسنعرف منه كم يكلف؟

حين طلبت من على السيد تنفيذ الفكرة، قلت له نريد التكاليف فى أضيق الحدود، وبعد الدراسة جاءنى الرد منه، ذهبت الى الرئيس لاقول له ان حمام السباحة سيكلف اربعة الاف جنيه.. لمعت عيناه بالدهشة - ثم قال : اصرف نظر عن الموضوع.. انها تكاليف لا داعى لها.

لم تكن تكاليف انشاء حمام سباحة ببيت الرئيس ستقطع من مصروفات البيت أو من مرتبه الخاص، ولكنها ستقتطع من ميزانية الاشغال العسكرية التى يتبعها بيت الرئيس. ومع ذلك لم يشأ الرئيس ان يوافق على الفكرة ورفضها رفضا تاما. بل ورفض ان أكرر عرضها عليه مرة أخرى حفاظا على «فلوس الناس».. وهى العبارة التى كان الرئيس يذكرها دائما حين يبدى اعتراضه على فكرة ماكنا نعرضها عليه. أو يعرضها عليه بعض المسئولين بالحكومة.

كان عبد الناصر يهوى السباحة وحين كنا نذهب الى المصيف فى استراحته «بالمعمورة» بالاسكندرية كان يسبح من أمام الاستراحة الى جزيرة صغيرة تسمى «غوريشة» وهى مسافة لا تقل عن سبعمائة متر ثم يعود الى الاستراحة بعد ان يكون قد قطع حوالى كيلو ونصف فى الذهاب الى الجزيرة والعودة منها.

وفى ذات يوم نزلت معه فى هذه الرحلة البحرية وفى هذا اليوم بالذات كاد الرئيس يموت غريقا بسبب اصراره أو عناده. كان الموج عاليا حين قرر الرئيس ان ينزل الى البحر ويسبح كعادته الى جزيرة «غوريشة» فطلبت منه ان يؤجل ذلك بسبب حالة الهياج التى كان عليها الموج فى ذلك اليوم ولكنه أصر، نزلت معه وأخذنا نسبح فى اتجاه الجزيرة وبعد فترة من مصارعة الامواج العاتية بدأت الاحظ على الرئيس امارات الارهاق والتعب، فطلبت منه ان نعود فرفض. وبعد فترة بدأت الاحظ زيادة التعب على عبد الناصر وان ضرباته بدأت تهدأ شيئا فشيئا. فطلبت منه ان استدعى «اللنش» لنكمل المسافة الى الجزيرة. ولكنه رفض بشدة. وقال اذا كنت تعبت أنت هات اللنش انا مش تعبان. بدأ عبد الناصر ينحرف عن الاتجاه الصحيح للجزيرة. فعرفت ان التعب قد بلغ منه مداه. فكنت اوجهه يمينا أو يسارا كلما رأيت انحرافه بسبب الارهاق.

الموت .. إصراراً

واخيرا وصلنا الى الجزيرة بعد ان كاد قلبى يتوقف بسبب الخوف على حياته.. وبعد ان وقفنا على الارض وجدت الرئيس يحمد الله ثم قال لى: عارف يافهيم انا لم اوافق على الرجوع ليه؟ لانى قررت ان أصل الى الجزيرة مهما كان الثمن.. وها أنا وصلت كما ترى!

كنت أعرف اصرار الرئيس عبد الناصر وقوة عزيمته. فكانت هذه الصفة فيه أوضح ماتكون فى نظر جميع رجالات السياسة الذين تعاملوا معه.. ولهذا فأننى لم اندهش فى ذلك اليوم امام اصراره على الوصول رغم ان قلبه كاد يتوقف بسبب الارهاق والتعب. وربما كانت المرة الوحيدة التى تمنيت فيها من كل قلبى ان يكف عن اصراره ويتخلى عن عزيمته ولكنه لم يفعل.. وهو عادة لم يكن يفعلها ابدا !!

بعد أن انتهينا من ملعب التنس امام البيت فكرت فى من سيلعب مع الرئيس.. فانا لم امارس هذه اللعبة بالذات رغم اننى مارست جميع الالعاب تقريبا.

استدعيت له مدربا من نادى هليوبوليس بمصر الجديدة «اسمه غريب».. وكان يحضر لتدريب الرئيس على اللعبة حتى أجادها تماما. وفى فترة وجيزة جدا ادهشت مدربه المحترف.

كان عبد الناصر يلعب التنس مع ابنه خالد وأحيانا مع أحد النواب خاصة السيد على صبرى أو عبد الحكيم عامر الذى كان يجيد التنس، وكان الرئيس هو الذى يطلب ذلك عادة كجزء من برنامه العلاجى، وقد بدأت صحة الرئيس تتحسن بالفعل.. بعد ان عاد لممارسة الرياضة كما ساعد ذلك على اقلاله من التدخين. ولكن الامر الأهم هو انه بدأ يطلب الطعام بنفسه بعد ان كاد ينساه حتى نذكره نحن .

ooo

٣

- حقيقة تدليك عبد الناصر بالسم .
- عبد الناصر يرفض مقابلة الشيخ رضوان.. ثم يوافق بعد إلحاح منى مع حسن عباس زكى .
- الشيخ رضوان يحذر عبد الناصر من المخابرات !
- أم كلثوم تلقى النكت فى بيت الرئيس !
- المخابرات المصرية تتولى تدليك الرئيس !
- حين طلب خرشوف تأجيل صلاة الجمعة !

لقد كان جمال عبد الناصر اكثر زعماء العام اثارة للجدل.. حيا وميتا.

بل أن ما أثاره عبد الناصر من الجدل بعد موته.. يعد اكثر بكثير مما أثاره منه فى حياته ولعل موته - بهذه الطريقة المفاجئة وفى هذه السن الصغيرة - كان اكثر الموضوعات اثارة للجدل حوله. فمن قال انه مات بالقلب، ومن قال انه مات بالسكر، ومن قال أنه مات اجهادا، ومن قال بانه مات كمدا، ولكن اغرب ماقيل هو انه مات بالسم.

ان زعيما له من الاعداء والخصوم مالدى جمال عبد الناصر لم يكن غريبا ان يموت بالسم ولكن الغريب حقا ان يكون قد مات مسموما بالطريقة التى حاولت اسرائيل ان تصورها.. عن طريق مدلك اسمه الدكتور «على العطفى» نحجت المخابرات الاسرائيلية فى تسريبه الى بيت عبد الناصر ليقوم بتدليكه بالسم !!

وكان علينا ان نبحث فى حقيقة، تلك الرواية التى حاولت اسرائيل ترويجها فى الاوساط العربية والمصرية. فكانت المفاجأة.. ان الذى كان يقوم بتدليك جمال عبد الناصر هو سكرتيره الخاص «محمود فهيم» ثم جاء مدلك أخر من المخابرات المصرية - وليس المخابرات الاسرائيلية - واسمه « زينهم » !!

لم يدخل بيت عبد الناصر شخص اسمه على العطفى .. ولم يسمع احد فى بيت الرئيس - بهذا الاسم.

هذا ما يؤكده محمود فهيم.. سكرتير عبد الناصر وحارسه الخاص والذى أضاف «التدليك» الى مهامه الخاصة مع عبد الناصر.. فيما يرويه من ذكريات فى بيت عبد الناصر:

كان عبد الناصر أبا مصريا. يحب « اللمة » وجمع الشمل. رغم ان اعباءه ومسئولياته كانت كثيرا ما تأخذه من حياته العائلية.. ولكنه كان يسعى بقدر طاقته - وحسبما تسمح به الظروف - للقيام بواجباته الاسرية. ورعاية أولاده بنفسه. لقد كان الرئيس يتحين الفرصة لمشاركة أولاده فى ألعابهم.. فكان يلعب معهم «البنج بونج» فى المنزل. وكان يسعد حين يغلبه احدهم، بل وكان احيانا يتعمد الهزيمة أمامهم ليشعرهم بحلاوة الانتصار على جمال عبد الناصر !!

كان الرئيس يمارس الرياضة البدنية بناء على نصيحة الاطباء، ولكنه كان يمارس الرياضة مع ابنائه ليعوضهم عن فترات الغياب الطويلة عنهم فكان يلعب الشطرنج مع خالد الذى كان يجيد اللعبة ومتفوقا فيها.

وذات يوم كنا فى استراحة القناطر ولم يكن خالد معنا فطلب الرئيس منى ان اجلس معه لنلعب «الشطرنج» ولكنى اعتذرت.. فانا لا أعرف هذه اللعبة فضحك الرئيس وقال لى مداعبا: انت ما تعرفش غير الملاكمة وبس؟ حاولت بعدها ان أتعلم الشطرنج، وقد تعلمته بالفعل

وأصبحت أجيد اللعبة تماما ولكنى انتظرت الفرصة التى يدعونى فيها الرئيس للعب معه ولكنه لم يطلب، فايقنت اننى سأظل فى نظره الملاكم والسباح فقط.

وفى ذات يوم طلب منى الرئيس ان احضر له مدلكا بناء على نصيحة من بعض أطبائه حين اذ دادت شكواه من الالام المبرحة التى كان يعانى منها فى الساق بسبب تصلب الشرايين.

تدليك الرئيس

فكرت فى طلب الرئيس. وكيف سيأتى المدلك ليدخل غرفة نومه وأنا الذى اعرفه محافظا جدا ؟ لابد وأن دخول رجل غريب الى غرفة نوم الرئيس سيكون مصدراً لازعاجه وعدم احساسه بالراحة.

قررت ن أتعلم التدليك بنفسى لأقوم بالمهمة. فذهبت لى المدلك الخاص بفندق هيلتون وطلبت منه أن يعلمنى التدليك وفى أقرب وقت ممكن. وبالفعل بدأت برنامج التعليم بقراءة كتب التشريح وبناء الجسم الانسانى، بينما كان الرئيس يلح فى طلب المدلك بناء على مشورة الاطباء.. فكنت أتحجج له بأية حجة. حتى انتهى من برنامج التعليم.

وبعد أن اطمأن المدرب من أننى اصبحت قادراً على ممارسة التدليك بعد شهر من التدريب، ترددت فى أن أبلغ الرئيس بذلك. رغم أننى أصبحت واثقا تماماً من مستواى.. وانتظرت ان يفاتحنى هو فى موضوع المدلك فأخبره بما حدث، وفعلاً.. بعد يوم من العمل الشاق أمضاه الرئيس فى مكتبه منهمكا سألنى: أين المدلك الذى طلبت منك احضاره؟ فقلت له موجود يافندم.

خرجت من عنده. وذهبت لارتدى بعض الملابس الرياضية التى كنت قد احضرتها. ودخلت عليه غرفته فاندهش عند رؤيتى على هذه الصورة الغريبة وقال: ايه دا.. انت عامل فى نفسك كدا ليه؟ فقلت له: أنا المدلك اللى حضرتك أمرت به.. فقال الرئيس ضاحكا: أنا قلت لك انا عايز مدلك.. مش عايز ملاكم!! قلت له: لقد تعلمت التدليك خصيصا من أجلك.. ولم يكن من المعقول ان نستدعى رجلا غريبا ليدخل غرفة نومك لهذ السبب.

استحسن الرئيس الفكرة. بعد أن طمأنته الى ان الامور ستسير بشكل حسن. يكفى فقط أن يمنحنى ثقته وسوف يرى النتيجة بنفسه. وبالفعل استلقى الرئيس على منضدة التدليك التى كنت قد جهزتها لهذ الغرض، وبدأت فى تدليك جسمه كما تعلمت. وسريعا شعرت بأنه بدأ يقتنع بى. ولم تمضى دقائق حتى راح فى نوم عميق.

وفى الصباح شكرنى الرئيس عند رؤيته لى.. وقال انه بدأ يشعر ببعض التحسن فى ساقه بعد تدليكى له. وانه تقديراً وعرفاناً قرر أن يمنحنى هدية. وناولنى زجاجتين من خلاصة

الاعشاب تستخدمان كنوع من الفيتامينات كانتا قد وصلتاه هدية من اندونسيا. واحتفظت بهما كأول هدية اتلقاها من عبد الناصر منذ ان عملت معه. وقد استمريت في تدليك ساق الرئيس بنفسي فكان يستدعيني قبل ان يباشر اعماله اليومية لادلك جسمه بناء عـ. مشورة الاطباء وفي أخر ايامه - ونظرا لكثرة مشاغلي وانصرافي الى أعمالي الى جوار الرئيس - قرر الاطباء احضار أحد المدلكين المحترفين، فأحضر محمد أحمد مدلكا من المخابرات المصرية اسمه «زينهم» كان يقوم بتدليك الرئيس يوميا.

ولهذا السبب فقد اندهشت حين قرأت في أحدى الصحف. أن اسرائيل نجحت في زرع أحد عملائها في بيت الرئيس وكان يقوم بتدليك الرئيس بنوع من الدهان المخلوط بالسم ومع مرور الوقت ادى ذلك الى وفاة عبد الناصر. وقد ذكر كاتب المقال اسم هذا المدلك العميل فقال انه «على العطفى» ولكنى اؤكد هنا اننا - جميع العاملين في بيت عبد الناصر والمسئولين بحكم وظيفتنا عن حياته الخاصة - لم نسمع بهذا الاسم أبدا ولم يدخل بيت الرئيس أحد لم يكن محل ثقتنا الكاملة.. وأن قصة المدلك على العطفى هذه مختلقة من أساسها وليس لها اى نصيب من الصحة.

روح الدعابة

كان الرئيس - بالرغم من كثرة مشاغله وهمومه - ميالا الى روح الدعابة.. مستسيغا للنكتة ومتجاوبا معها. كما كان صادقا في انفعالاته ومشاعره وعلى سبيل المثال - كان يناديني « يافخيم » حين تكون معنوياته مرتفعة ، كما يحلو له ان ينادى اولاده.. أو المقربين إليه من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ببعض اسمائهم المكنية أو «الدلع» كما يقولون.

وكانت السيدة كوكب الشرق ام كلثوم كثيرة التردد على بيت الرئيس فكانت صديقة للسيدة تحية وكان الرئيس يراها في البيت عند حضورها ويجلس اليها بعض الوقت ويسألها عن أخبارها وكانت رحمها الله - معروفة بروح المرح والدعابة وعند حضورها الى بيت الرئيس لم تكن تشعر بأى حرج فكانت «تأخذ راحتها» معه أو مع السيدة تحية فتلقي بعض النكت، ومشهور عنها أنها كانت من اشهر المصريين في القاء النكت ولكنها لم تكن تغنى أو كان الرئيس يطلب منها ان تغنى حتى في بعض المناسبات الخاصة التى كانت تدعى اليها كصديقة للأسرة في بيت الرئيس كأعياد ميلاد الاولاد مثلا ولكنها غنت في فرح «هدى عبد الناصر الكبرى وبناء على رغبتها هي دون ان يطلب أحد منها ذلك.

الرئيس المتصوف !

كان عبد الناصر يتمتع بروح صافية. اقرب ما تكون الى روح المتصوفة، خاصة فى أواخر ايامه. التى كان اقرب ما يكون فيها الى الميل نحو التصوف. وكان لذلك قصة جديرة بأن أرويها.

كنت قد تعرفت عن طريق بعض الخيرين من اصدقائى على رجل سودانى اسمه الشيخ محمد عثمان وهو شيخ الطريقة البرهانية الشاذلية بالسودان وكان لهذا االرجل بعض الصفات الحميدة التى تحبب الناس فيه وتجذبهم اليه وقد استطاع فعلاً ان يقنعنى بطريقة فى التصوف، فانخرطت فى صفوف جماعته، ولكن لم أتجاوز حدود التسبيح وقراءة الاوراد على الطريقة الشاذلية. وقد اعطانى مسبحة وبعض الاوراد والادعية.

لم يطلب الشيخ محمد عثمان ان يقابل عبد الناصر شخصيا. واكتفى بان تكون علاقته معه من خلالى أنا. أما المتصوف الذى قابل عبد الناصر فهو الشيخ أحمد رضوان.. وهو واحد من القلائل الذين اقتنعت بهم.. وقد تعرفت عليه مع صديق لى اسمه صلاح البحيرى كان من اتباعه ومريديه.

كان الشيخ احمد - رحمه الله - من قرية اسمها «بغدادى» تابعة للاقصر.. وقد لمست فيه بعض الشواهد التى جذبتنى اليه وحببتنى فى طريقته، فقد كان رحمه الله رجلا صالحا يكثر من قراءة القرآن والتسبيح وقد طلب منى الشيخ رضوان أن يلتقى بجمال عبد الناصر عن طريقى.. وحين أبلغت الرئيس بذلك. وقلت له أن رجلا صالحا اسمه الشيخ رضوان يريد مقابلتك، قال عبد الناصر انه لا يحب قراءة الطالع ولا يريد مقابلة المنجمين أو المتنبئين.. فقلت له الشيخ رضوان ليس من هذا النوع فهو مجرد رجل صالح وتقى ومتصوف.

ألح الشيخ أحمد رضوان فى مقابلة عبد الناصر وأمام اصراره وجدت نفسى اكرر على الرئيس طلبى فى مقابلة احمد رضوان. فقال عبد الناصر مندهشا: ايه حكاية الشيخ احمد رضون اللى انت والدكتور حسن عباس ذكى ما سكينها لى اليومين دول؟ اندهشت.. لانى لم أكن اعلم بعلاقة الدكتور حسن عباس ذكى وزير الاقتصاد بالشيخ أحمد رضوان كما اننى لم اعلم بالتالى انه طلب من الرئيس مقابلة الشيخ احمد رضوان.

انكرت معرفتى بعلاقة حسن ذكى بالشيخ رضوان وقلت للرئيس انك لن تخسر شيئا من مقابلة رجل صالح مثل الشيخ رضوان بصرف النظر عن ان هذه رغبتى أو رغبة الدكتور حسن عباس ذكى.

الرئيس .. والشيخ !

وافق الرئيس على مقابلة الشيخ رضوان. وطلب منى ان اسمح له بمقابلته بين موعدين

وفعلاً صاحبني الشيخ رضوان الى بيت الرئيس وبعد ان أنهى احدى مقابلاته وقبل أن يبدأ مقابلته التالية. دخلت ومعي الشيخ رضوان الى مكتب الرئيس وتركته معه وخرجت، وبعد عشر دقائق خرج الشيخ رضوان من مكتب الرئيس متهلل الوجه سعيدا، وسلمت عليه قبل ان ينصرف، ثم دخلت على الرئيس فوجدته سعيداً بدوره.. واكتفى بان قال لي:«الشيخ رضوان دا رجل طيب فعلا».

لم يقل لي الرئيس ماذا قال له الشيخ رضوان كما لم يقل لي الشيخ رضوان ماالذى دار بينه وبين الرئيس ولم اشأ ان اسأل ايا منهما عما قاله احدهما للاخر ولكن بعد يومين من لقائهما. فوجئت بالرئيس يطلب مني ان احضر له الشيخ احمد رضوان فأنا اريد رؤيته. ولكن الشيخ رضوان كان قد سافر.. فطلب مني الرئيس رؤيته عند حضوره الى القاهرة.

اذدادت علاقتي الروحية بالشيخ احمد رضوان وفي ذات ليلة استيقظت من نومي على صوته يناديني فقمت وصليت الفجر واخذت اقرأ في المصحف وأرتل بعض التسابيح والاوراد. حتى اشرقت الشمس.

نداء روحاني !

اتصلت باللواء سعد الدين الشريف كبير الياوران برئاسة الجمهورية وسألته: متى تريد السفر لمقابلة الشيخ احمد رضوان، فأخبرني انه مسافر فعلا بعد ساعة من الان الى الاقصر ليجرب احدى الطائرات، فطلبت منه ان ينتظرني لاسافر معه ونذهب سويا لمقابلة الشيخ رضوان.

كان اللواء سعد الدين الشريف قد طلب مني مصاحبته لمقابلة الشيخ رضوان وحينما رأيته في المنام يناديني قررت ان اسافر اليه ولكني لم اشأ ان أسافر وحدي لطول المسافة الى الاقصر وتذكرت ان سعد الشريف كان قد طلب مني ان يصحبني الى الشيخ رضوان فوجدتها فرصة لنذهب معا الى هناك ولم اكن اعرف بموضوع سفره بالطائرة الى الاقصر في نفس اليوم وحين علمت شعرت بان هناك ترتيبا إلهياً لتيسير لقائي بالشيخ رضوان في ذلك اليوم بالذات ولهذا فقد قررت السفر فورا دون ان أفكر في تبعات ذلك. خاصة وان محمد احمد كان في رحلة علاج الى الخارج ولم يكن هناك غيري الى جوار الرئيس الذى قررت السفر حتى دون ابلاغه.

وصلت الى مطار الاقصر مع سعد الدين الشريف وتوجهنا على الفور الى منزل الشيخ رضوان فوجدناه طريح الفراش مريضا وحين انتحيت جانبا بابنه الشيخ محمد علمت منه انه كان يناديني باسمي طوال الليل.

سمعت كثيراً عما يسميه العلماء «بالتليباثي» أو الاتصال الروحي عن بعد، ولكني لم أكن

اصدق مثل هذه الظواهر الخارقة الا بعد ان جربتها بنفسى فى علاقتى بالشيخ احمد رضوان. الذى استيقظت من نومى على صوته ينادينى ورغم دهشتى من حدوث ذلك الا ان الشيخ رضوان أو ابنه لم تبد عليهما اية علامات للدهشة من حضورى فى هذا الوقت الذى كان يطلبنى فيه الشيخ احمد بالاسم.

حملنا الشيخ احمد رضوان معنا الى الطائرة فى نفس اليوم.. وانتقلنا الى القاهرة فطلب التوجه الى بيت الوزير السابق فريد زعلوك. وهو أحد الوزراء الوفدين السابقين. وكان صديقه وأحد مريديه. فذهبنا به الى بيت زعلوك. ودخلنا به الى الحجرة التى اعتاد ان ينام فيها.. طلب منا ان نضعه على السرير الذى خصصه له فريد زعلوك بالحجرة.. واشار الى السرير وقال: هنا سأموت.. على هذا السرير!

تنبأ بالنكسة !

تركت الشيخ احمد رضوان بمنزل فريد زعلوك وتوجهت فورا الى الرئيس، وأخبرته بمرض الشيخ رضوان فطلب منى الرئيس ان انقله الى احد المستشفيات ليتلقى العلاج المناسب، وحين توجهت اليه وجدته قد مات.. وعلى نفس السرير الذى تنبأ هو قبل ذلك بانه سيموت عليه. كان الشيخ احمد رضوان. رحمه الله - من الصالحين «اصحاب الكرامات» ولم تكن مسألة موته هى الشىء الوحيد الذى تنبأ به بل كان قد تنبأ بوقوع النكسة وبالطريقة التى وقعت بها فعلا!

قبل وفاته بساعات وجدنا - أنا وسعد الدين الشريف - الشيخ احمد رضوان يعطينا مقالا كان قد كتبه وطلب منا ان نعطيه للرئيس جمال عبد الناصر.. أو ان ننشره باحدى الصحف، والحقيقة ان المقال كان يتضمن مدحا كثيرا فى الرئيس عبد الناصر ولكننا لاحظنا انه يقول بين السطور اشياء غامضة كان يبدو انها لا تتمشى مع السياق مثل «خذوا بالكم من الطيران على الارض» أو « خذوا بالكم من المخابرات ».. و«الجيش بيلعب». و «الشعب غلبان».. مثل هذه العبارات التى كتبها الشيخ احمد رضوان فى مقاله لم نكن نفهم المقصود بها حتى وقعت النكسة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وهو نفس اليوم الذى مات فيه الشيخ احمد رضوان بمنزل فريد زعلوك، ويقال انه افتدى مصر بموته فى ذلك اليوم!

بعد ان اعطانا الشيخ رضوان مقاله قررنا الا ننشره أو نطلع الرئيس عليه لانه يتضمن كثيرا من عبارات المدح التى لم يكن عبد الناصر يحب سماعها كذلك كانت هناك بعض العبارات الغامضة. وهى التحذيرات والتنبوءات السابقة التى لم نكن نفهم المقصود منها حتى وقعت النكسة بعد ضرب اسرائيل للطيران على ارض المطارات وقد ثبت من التحقيقات التى اجريت فى اعقاب النكسة عن الاسباب التى ادت اليها ان هناك قصورا شديدا فى قيادة الجيش والمخابرات. كان احد الاسباب. وأقواها - لوقوع الهزيمة وهو ماحذرنا منه الشيخ

احمد رضوان دون ان نفهم.

كان الشيخ احمد رضوان يتمتع بقدرات خاصة خصها به الله سبحانه وتعالى وقد لاحظت ان عبد الناصر قد سعد جدا بلقائه الذى لم يدم لاكثر من عشر دقائق فقط حتى انه - وهو الذى كان يرفض مقابلته - رغم الحاحى انا والدكتور حسن عباس زكى ليوافق عليها - قد اعطانى مظروفا به مبلغ من المال لاعطيه للشيخ رضوان كتبرع أو مساعدة. ولكنى حين توجهت بالمبلغ الى الشيخ رضوان رفض استلامه بأدب وطلب منى أن اشكر الرئيس على صدق مشاعره تجاهه. وانه لا يحتاج الى النقود الان. وحين يحتاج اليها سوف يطلبها بنفسه.

عدت الى الرئيس لابلغه بذلك واقترحت عليه ان نشترى له سجادة بدلا من اعطائه المبلغ وطلب منى الرئيس ان أتصرف كما أرى فاشتريت له سجادة ليضعها فى مقامه الذى كان قد بناه بالاقصر وأعده لماته وحين توجهت اليه بالسجادة - هدية الرئيس له - سعد بها جدا وطلب منى ان اشكر الرئيس عليها كما طلب منى ان اتفانى فى خدمة هذا الرجل - جمال عبد الناصر - لانه «رجل صالح».

كان هذا هو الانطباع الذى خرج به الشيخ احمد رضوان من مقابلته لعبد الناصر التى لم يحدثنى عما دار بينهما فيها حتى مات الرجلان.

الرئيس والقرآن

كان الرئيس جمال عبد الناصر - رحمه الله - رجلا متدينا مواظباً على الصلاة فى اوقاتها قدر طاقته كما كان يصوم رمضان ويحرص على اخراج الزكاة عنه وعن أولاده كما كان كثير الاطلاع فى المصحف خاصة فى الساعات المتأخرة من الليل بعد أن يكون قد انهى اعماله. كما كانت السيدة زوجته رحمها الله مواظبة على قراءة المصحف وتجتهد فى حفظ الكثير من اياته. وقد أدى عبد الناصر فريضة الحج كم أدى العمرة اكثر من مرة وقد صاحبته فى ادائه العمرة ولكن لم يسعدنى الحظ بمصاحبته فى اداء فريضة الحج لانه كان قد أداها قبل ان التحق بالعمل معه.

وفى اسفاره العديدة خارج مصر كان عبد الناصر حريصا على اداء فريضة الصلاة فى اوقاتها وكنا نسأل سفراءنا فى البلاد االتى نزورها عن الاتجاه الصحيح للقبلة.

واذكر اننا كنا فى موسكو - فى احدى زياراتنا المتعددة اليها، ان كان الرئيس فى اجتماع هام مع الوفد السوفيتى حين جاء موعد صلاة الجمعة. فطلب الرئيس عبد الناصر من الرئس السوفيتى خرتشوف ان يؤجل الاجتماع لما بعد الصلاة، وكان هناك كثير من الموضوعات المطروحة للنقاش ولم يتوصل الجانبان فيها الى اتفاق بعد وحين طلب عبد الناصر رفع الجلسة لاداء صلاة الجمعة اندهش خرتشوف من هذا الطلب الغريب وطلب من عبد الناصر ان يؤجل

صلاة الجمعة حتى ينتهى الاجتماع.. فضحك عبد الناصر واعضاء الوفد المصرى لان خرتشوف لم يكن يعلم ان صلاة الجمعة لا تؤجل.

ooo

https://t.me/montlq

٤

- لماذا أمر عبد الناصر باعتقال خاله .. وشقيقه ؟
- من هو الحاج محمد الذى أحنى عبد الناصر له رأسه ؟
- ومن هو الطفل الذى أفزع الرئيس !
- حلاق الرئيس من القلعة .. والترزى من العتبة !
- عبد الناصر يطلب « علاوة » لزيادة مصاريف البيت !

حين كنا أطفالا صغاراً.. كان الواحد منا يقول لرفيق اللعب لو كنت ابن جمال عبد الناصر.. «افعل كذا».. كانت عبارة تقال على سبيل التحدى، وكأن ابن عبد الناصر يستطع أن يأتى بالمعجزات.. أليس هو ابن صانع المعجزات؟

لم نكن ندرى أن جمال عبد الناصر كأب أى طفل فينا «موظف على قده»، يتقاضى راتبا شهريا كأى موظف بالدولة.. بل ويطلب علاوة «حين تضيق به سبل المعيشة».

لقد ظل عبد الناصر الزعيم يحلق شعره عند نفس الحلاق الذى كان يحلق عنده وهو طالب بالكلية الحربية.. ويفصل قمصانه عند نفس الترزى فى حارة صغيرة بحى العتبة، ولم يلجأ الى «ترزى المشاهير» الا بعد إلحاح من زملائه!

كان جمال عبد الناصر موظفا بسيطا فى نظر نفسه ومعارفه القريبيين.. فى الوقت الذى كان ينظر اليه الناس على أنه رجل اسطورى انطلق من قصص ألف ليلة وليلة ليعيش فى منشية البكرى.

ولكن حقيقة جمال عبد الناصر-كما يصورها لنا محمود فهيم-كانت أبعد ماتكون عن هذه «النفخة الكذابة».. وأقرب ماتكون الى المواطن البسيط الذى يحيا مثل الملايين من أمثاله المواطنين.

كيف كانت علاقة عبد الناصر بأخوته وأبيه؟

وكيف كانت علاقته بأبنائه فى البيت؟

وماهى الصورة التى كان عليها هذا الرجل «جمال عبد الناصر»؟

هذا مايجيب عنه محمود فهيم.. فى هذا الاطار:

- لقد لمع نجم عبد الناصر فى سماء السياسة العالمية وأصبح بعد فترة وجيزة من قيامه بالثورة قطبا من اقطابها البارزين، فأصبحت مصر محط أنظار العالم. يتطلع لزيارتها الزعماء والرؤساء والقادة ليحظوا بلقاء عبد الناصر والتعرف عليه عن قرب.. ولهذا تعددت زيارات هؤلاء الزعماء والقادة للقاهرة.. فلم يكن يمر شهر دون أن تستقبل فيه مصر واحداً أو اثنين من الرؤساء من مختلف بلاد العالم.

وقد كان عبد الناصر بطبيعة الحال يدعو ضيوفه لزيارته فى بيته. ويقيم المآدب تكريما لهم،

وفى بداية الأمر كانت تكاليف تلك المآدب على حساب الرئيس ومن مرتبه، ولكن نظرا لكثرتها فلم يعد مرتب الرئيس يسمح بشىء من ذلك.. فطلبنا منه أن يصدر قرارا جمهوريا ببعض المبالغ الاضافية تخصص للضيافة واقترحنا أن يكون المبلغ خمسة الآف جنيه فى السنة كلها يصرف منها على الضيافة وبعض النواحى الأخرى التى كانت تفرضها الظروف.

وحين كان يأتى أحد كبار الزوار الى بيت الرئيس لتناول الطعام معه كنا نجتهد لمعرفة نوع الطعام المفضل فى بلده لنقدمه له على المائدة كنوع من المجاملة فكنا نسأل المرافقين للرئيس الزائر عن أحب أنواع الطعام اليه وطريقة اعداده وكان طباخ الرئيس هو الذى يقوم باعداد كل شىء بنفسه.

لم يكن فى بيت الرئيس سوى طباخ واحد ومساعده وفى المناسبات التى كنا نستقبل فيها ضيوفا بالبيت لم نكن نستدعى طباخين آخرين للمعاونة الا نادرا حين يكون هناك وفد كبير، ولكن فى كل الحالات كان الرئيس حريصا على أن تكون البساطة وعدم التكلف طابعا مميزا لمثل هذه المناسبات التى لم يكن الغرض منها سوى المجاملة.

أما المناسبات العائلية كأعياد الميلاد وغيرها فلم يكن الاحتفال بها الا فى أضيق الحدود، ولم يكن يدع اليها سوى بعض الأقارب فقط.، أما اذا كانت المناسبة عيد ميلاد أحد الأبناء فكان يسمح له بدعوة بعض اصدقائه من زملاء الدراسة. لقد كانت البساطة هى الطابع المميز لمثل تلك المناسبات التى لم يكن يحضرها أحد من الفنانين أو المطربين، والحفل الوحيد الذى حضره الفنانون من أصدقاء الأسرة مثل أم كلثوم وعبد الحليم حافظ.، كان حفل زفاف هدى ابنه الرئيس الكبرى الى الأستاذ حاتم صادق الذى كان زميلها بكلية الأقتصاد والعلوم السياسية وقد أقيم الحفل بالبيت بعد أن رفض الرئيس اقامته بأحد الفنادق الكبرى بناء على اقتراح بعض الأقارب.

الرئيس يعتقل خاله

كان عبد الناصر عطوفا على اقاربه وكان ودودا معهم الى أقصى درجة ولكن اذا حدث ان استغل احدهم قرابته الى الرئيس كان يثور ثورة عارمة ويتخذ حيال ذلك رد فعل شديد القسوة.

والحقيقة أن أقارب عبد الناصر لم يضعوه فى هذا الموقف الا نادرا وبدون قصد.. وأذكر هنا أنه ذات يوم عرف ان خاله خليل قد تلقى هديه ومن أحد الأثرياء العرب فثار الرئيس وأمر باعتقاله ونفيه الى االصعيد رغم أن الهدية لم تكن سوى قطعتى قماش ولم يشفع لدى عبد الناصر ان الحاج خليل هو خاله الذى رباه وكان يقيم فى بيته «بالضاهر» حين جاء الى القاهرة.

وقد رفض الرئيس جميع المحاولات التي جاءت للوساطة للعفو عن خاله، ولكن حين جاء اليه والده - الحاج عبد الناصر - استجاب الرئيس أخيرا لوساطته وقرر الافراج عن خاله خليل.

وقد تكررت هذه القصة مع الليثى عبد الناصر - شقيق الرئيس، حين كثرت الاشاعات

والأقاويل حول استغلاله قرابته للرئيس فى الحصول على بعض المكاسب بطريقة غير مشروعة.. وحين زاره الرئيس فى بيته ووجده يعيش فى مستوى أعلى مما يسمح به مرتبه قرر اعتقاله.. ثم أفرج عنه بعد أن توسط له والده على الا يعود لما كان عليه من سوء تصرف.

قد يفهم البعض من مثل هذه القصص أن الرئيس كان جاحدا أو متنكرا لأهله، ولكن الحقيقة كانت على العكس من ذلك تماما.. فقد كان الجحود والنكران وعدم الوفاء.. صفات أبعد ما تكون عن عبد الناصر وطبيعته ففى الوقت الذى كان يتخذ هذه المواقف الحادة والقاسية من بعض اقاربه كان يتخذ مواقف عكسية من بعضهم الآخر.. وعلى سبيل المثال، ظل عبد الناصر يساعد شقيقه «عز العرب» الذى لم يكن سوى موظف بسيط بمكتب جريدة الجمهورية بالاسكندرية فكان الرئيس يخصص له مبلغا شهريا ليعينه على أعباء المعيشة لأن عز العرب لم يحاول رغم حاجته وفقرة أن يستغل قرابته للرئيس فى الحصول على شيء بطريقة غير مشروعة وقد ظل طوال حياته - رحمه الله - حريصا على عدم الاساءة الى شقيقه.

عبد الناصر .. الابن

أما علاقته بوالده فكانت كعلاقة أى ابن بأبيه، كان بارا بأبيه، مبديا أمامه ما يستحق من احترام وتبجيل، وحين كان يأتى والده لزيارته بالمنزل كان يحتفى به ويجلس اليه.. وقد خصص له غرفة بالبيت ليقيم فيها عند حضوره، كما كان يقيم فيها اشقاؤه الذين كانوا يزورونه بين وقت وآخر.

وبالرغم من احترامه لأبيه الا ان جمال عبد الناصر كان يرفض فى كثير من الأحيان وساطة أبيه لبعض المعارف أو الاقارب الذين كانوا يرغبون فى قضاء بعض حوائجهم خاصة اذا كانت هذه الأمور ليست من حقهم وكان جمال عبد الناصر يبرر ذلك أمام والده بانه اذا كان هو الذى عمل القانون يدوس عليه.. فكيف يحاسب الذين يدوسون عليه بعده؟ انه لا يريد من أحد أن «يكسر عينه» ولا يسمح لأحد مهما كانت درجة قرابته له أن يجعله ضعيفا أمام مرؤسيه.

كان الحاج عبد الناصر يغضب من ابنه جمال بسبب عدم تلبيته لبعض الطلبات التى يحملها اليه، هذا فى بداية الأمر.. ولكن مع مرور الوقت بدأ الوالد يفهم ظروف ابنه شيئا فشيئا فلم يعد يقبل الوساطة لديه.

كان الرئيس حريصا على ارضاء والده وكان يجلس اليه طويلا محاولا اقناعه بوجهة نظره. ولم يكن يتركه حتى يطمئن تماما الى أنه أصبح راضيا عنه متفهماً لموقفه.

وفى بعض الأحيان كان الرئيس يفاجأ بأن والده قد ترك البيت غاضبا دون علمه رغم توسلاتنا اليه بأن يبقى حتى يعود جمال عبد الناصر - الذى يكون خارج البيت للقيام ببعض مسئولياته، فكان يسافر وراءه الى الاسكندرية لاسترضائه والعودة فى نفس اليوم رغم أعبائه وكثرة مشاغله، فلم يكن يترك والده وهو غاضب عليه حتى وان كان الحق فى جانبه.

كان الحاج عد الناصر يقدر السيدة تحية زوجة ابنه ويكن لها كل احترام واجلال.. كما كانت هى تبادله نفس المشاعر ولذا فقد كانت كثيرا ما تتوسط بين الأب وابنه وتقوم بدور حمامة السلام بينهما فكانت مرة تطلب من الرئيس ان يلبى له طلبه ان كان فى امكانه ذلك ومرة تطلب من الأب أن يفهم موقف ابنه وحساسية موقعه.

وساطة مرفوضة !!

والذى كان يحدث أن بعض الأقارب من العائلة فى الصعيد والاسكندرية، ممن لا يستطيعون مقابلة عبد الناصر بسبب كثرة مشاغله ..كانوا يتقدمون ببعض الطلبات اليه عن طريق والده فكان الرئيس يأمر بتحقيقها فورا اذا كانت من الحقوق الثابتة ولكنه كان يرفض باصرار اذا لم يكن الطلب من حق طالبه فكان يعز على الوالد أن يرفض الرئيس له طلبا ولكنه سرعان ماكان يتفهم الموقف على حقيقته فيقتنع.

وفى كثير من السفريات التى كنا نصاحب الرئيس فيها الى الخارج، كان يوصينا بشراء بعض الهدايا البسيطة لوالده. كقطعة قماش أو ربطة عنق أو غيرها من الهدايا الرمزية.. وفى بعض الأحيان كان الرئيس يتلقى بعض الهدايا من أصدقائه التى لم تكن تزيد عن ذلك فكان يتنازل عنها لوالده وبعض أشقائه وكان يقدمها اليهم بنفسه.

أما المناسبات العائلية التى كانت تقام فى بيوت أقاربه أو أخوته، فكانت السيدة تحية تنوب عن الرئيس في حضورها اذا كانت الظروف لا تسمح بحضوره شخصيا فكانت تحضر حفلات زفاف وأعياد الميلاد والعزاء، وتقوم بالواجب نيابة عنه، وغالبا ماكان الرئيس يتصل هاتفيا للتهنئة أو العزاء معتذرا عن عدم حضوره متمنيا لاصحاب المناسبة أطيب التمنيات. عارضا مساعدته اذا كانوا فى حاجة لأية مساعدة.

كان الرئيس عطوفا مع « الناس الغلابة » وكان دائم الحديث عنهم فكان يردد انه قام بالثورة من اجلهم .. ولهذا فقد كان اكثر مايدخل السعادة والسرور الى نفس الرئيس - مهما كانت الاثقال والمتاعب - هو أن يرى هؤلاء يتجاوبون معه فى الشارع .

ولكن بقدر ماكان الرئيس سعيدا بهؤلاء كنا نحن المسئولين عن حراسته فى اشد حالات العصبية والتوتر خاصة فى سورية.

كان السوريون لا ينامون طوال الايام التى كان الرئيس يقضيها فى سورية فكانوا يحضرون من القرى البعيدة والمدن بل من الدول العربية المجاورة ويقيمون الليل امام القصر الجمهورى، رغم برودة الجو وتساقط الثلوج. فكانوا يحضرون الحطب معهم. ويشعلونه امام القصر للتدفئة ولم يكونوا يكفون عن ترديد الهتافات ليلا ونهارا مطالبين بان يخرج اليهم فى شرفة القصر ليروه.. وغالبا ماكان الرئيس يستجيب لمطلبهم. ومايكاد يطل عليهم حتى نراهم القوا باجسادهم على الاسوار الحديدية للقصر. وكثيرا ماكانت تحدث فيهم اصابات ولكنهم لم يكونوا يبالون بشىء إلا ان يروا جمال عبد الناصر!!

وفى احدى المرات حمل السوريون سيارة عبد الناصر بسواعدهم فوق الأرض. وكادت قلوبنا تنخلع من هول المنظر. واحيانا كنا نخرج عن شعورنا فنتعامل بقسوة مع بعض الذين كانوا يثقلون على الرئيس.. فكان البعض منهم – دون شعور – يجذبه بعنف ليتمكن من تقبيله، وكان بعضهم فى سبيل ذلك يشده من سترة البدلة أو من ساقه حتى يكاد الرئيس يقع على الارض فكنا نتدخل للحفاظ على هيئة الرئيس وسلامته ولم نكن ننجح فى ذلك الا باظهار بعض العنف والقسوة.. ولكن عبد الناصر لم يكن يسمح لنا بذلك فكان احيانا يجذبنا بيده لنكف.. واحيانا يكتفى بمجرد النظر.

أنا أجمد منه !

وذات يوم كان الرئيس فى زيارة لمصانع « سباهى » للغزل والنسيج بالاسكندرية.. وكان الزحام شديدا حول الرئيس.. فتجمع الاف العمال بل واقتحم المصنع اعداد غفيرة من المواطنين بالحى ، وحدث ان احد العمال وكان ضخم الجثة قويا نجح فى الوصول الى الرئيس بعد ان صارع كل من يقف فى طريقه ملقيا بهم جانبا وحين وصل الى الرئيس جذبه بعنف من رأسه وأراد ان يقبله ولكنى تقدمت منه بسرعة وطوقته من الخلف وضغطت بقوة على ضلوعه وحملته من يده ورجله والقيت به بعيدا عن الرئيس فضحك الرئيس حين رأى المنظر ونظر إلى الرجل وهو ملقى على الأرض وقال له. علشان تعرف ان معايا « أجمد منك » !

حمدت الله ان الرجل وقع بالقرب من احدى ماكينات النسيج التى كانت دائرة فى ذلك الوقت ولم يقع فوقها والا لكانت الكارثة وقد توقعت ان يغضب الرئيس منى أو يلومنى على ذلك. ولكن جاءت مداعبته للرجل.. شهادة لى باننى فعلت ماكان يجب على ان افعله!

لقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يضيق فيها الرئيس بمثل هذا التصرف الذى اعتاد عليه من الناس وفى الزحام الشديد ولكن الحقيقة ان هذا الرجل بالذات كان اثقل واعنف مما يحتمل!

فزع عبد الناصر !

وفى احدى المرات كان موكب الرئيس يسير فى احد شوارع القاهرة حين فوجئنا جميعا بطفل صغير يمر كالسهم أمام سيارة الرئيس حتى كاد ان يقع صريعا تحت عجلاتها فانزعج الرئيس وقال: حاسب.. حاسب.. ياساتر.. ياساتر !

وما اذكره الآن ان الرئيس ظل ولفترة طويلة بعدها متوترا كلما تخيل انه كان سيتسبب فى وفاة هذا الطفل الصغير.. وقد نجح احد المصورين الصحفيين من التقاط هذه الصورة الفريدة. ونشرتها الصحف المصرية فى اليوم التالى وتحتها تعليقات تقول : «الأب.. يتلهف على الابن» أو «الطفل الذى افزع عبد الناصر» وغيرها من التعليقات ذات الدلالة، ورغم عفوية المنظر وتلقائيته الا ان عبد الناصر كان يتضايق حينما كان يتذكره.. وكان يحمد الله على سلامة هذا الطفل.

كان عبد الناصر يعنفنا حين يرانا نقسو على بعض الناس من الجماهير التى تلقى بنفسها عليه وكان يعبر عن غضبه فى حينه وحين كنا نعود من الجولة، كان يكلمنا فى الأمر مرة أخرى ويطلب منا الترفق مع الناس. مهما فعلوا ويدعونا إلى التمسك بالصبر وقوة الاحتمال.. ورغم اننا لم نكن نقصد الاساءة إلى احد. وكنا نقرر بيننا وبين انفسنا ان نكون صبورين الى اقصى درجة إلا ان شدة الزحام مع حرارة الجو ومع الخوف على حياة الرئيس وحبنا له. كانت تخرجنا عن شعورنا. ولكن بنظرة منه كنا نعود الى رشدنا فنتمسك بالصبر وقوة الاحتمال.. كما أمرنا.

أولاد مؤدبين

لقد كان عبد الناصر «محافظا» فى بيته إلى اقصى درجة وكان رجلا «صعيديا» بمعنى الكلمة فى تربية أولاده وفى علاقته معهم، وقد أنشأ أولاده وعودهم على الطاعة والالتزام والطهارة فلم يحدث ولو مرة واحدة ان استغل أحدهم موقع والده أو أساء اليه بل على العكس كانوا مؤدبين فى تعاملهم مع الجميع ولم يرفعوا الكلفة ابدا بينهم وبين العاملين بالمنزل حتى انهم كانوا يناودننى يا «صاغ فهيم» فقد كنت عند التحاقى بالعمل فى بيت الرئيس بدرجة «صاغ» أو «رائد» فكانوا ينادون اسمى مسبوقا برتبتى العسكرية وأحيانا كانوا يقولون «ياحضرة الصاغ فهيم»، وكذلك كانوا ينادون جميع العاملين بالمنزل ممن كانوا عسكريين أما الموظفون المدنيون مثل الطباخ والسفرجى وغيرهم فلم يكونوا ينادون اسماءهم الا مسبوقة بكلمة «عم» أو «عمو» فلان وهكذا ايضا كانت السيدة تحية زوجة الرئيس أما الرئيس نفسه فكان ينادينا بأسمائنا مجردة بل وكان فى كثير من الاحيان ينادينا باسماء «الدلع» التى اختارها هو لكل منا ولم يكن أحد ينادينا بها غيره، فكان يقول لى احيانا يا«فخيم»، لأننى

تصنع، ورغم تبسطه مع زملائه وتودده ، الا أن أى منهم لم يكن يناديه باسمه مجردا دون أن يسبقه بكلمة « الرئيس » بل كانو ينادونه بلقبه فقط دون ذكر اسمه.. كما كانوا يحضرون اليه حسب موعد سابق .. ونادرا ما كانوا يحضرون بدون موعد حتى عبد الحكيم عامر الذى كان اقربهم الى قلبه كان يناديه بـ « الريس » بينما كان الرئيس يناديه باسم « حكيم » .

لم يحدث فى يوم من الايام أن أعطانا الرئيس تعليمات بأن ننكر وجوده بالبيت عندما يسأل عنه شخص معين.. وجميع من كانوا يأتون الى البيت من النواب كانوا يدخلون حتى وان جاءوا بغير مواعيد مسبقة .. وكانوا ينتظرون بغرفة المكتب حتى يستعد الرئيس لاستقبالهم.. اما اذا كان نائما فم يكن فى استطاعتنا ابدا ايقاظه الا فى الموعد الذى كان يحدده لنا قبل أن يذهب الى سريره .. فقد كان عليه أن يلقى قسطا من الراحة بسبب كثرة متاعبه طوال اليوم.. وكان على الجميع ان يحترموا حقه فى ذلك ، فلم يكن يطلب منا احد ان نوقظه اذا أخبرناه بأنه نائم .

وأذكر هنا أنه فى أحد الايام جاء المشير عبد الحكيم عامر الى الاستراحة فى برج العرب وقابلنى فى الحديقة وسألنى عما اذا كان الرئيس موجودا.. فأخبرته بأنه نائم .. ولم أكن أعرف أنه لم ينم .. وكان واقفا فى غرفته بالطابق الثانى وسمع حوارى مع المشير فنادانى.. ايه يافهيم .. انت عايز تمشى المشير والا ايه؟

عبد الناصر .. يبكى

لقد كان المشير هو أقرب زملاء عبد الناصر الى قلبه.. ولم نكن وحدنا الذين نعرف ذلك.. كانوا جميعا يعرفون هذه الحقيقة ويعترفون بها..

وأذكر أننى لم أر عبد الناصر يبكى فى حياته ، الا عندما انتحر المشير عامر.. بل اننى لم أتخيل أن رجلا فى صلابة الرئيس وقوته يمكن أن تعرف الدموع طريقا الى عينيه .. ولكنى رأيته بعد ساعات من سماعه نبأ انتحار المشير، وكان قد أغلق الغرفة على نفسه وظل بها ساعات قبل أن يستدعينى لأقوم بتدليك ساقه التى اشتد عليه ألمها فى ذلك اليوم .. ودخلت عليه ونظرت إلى وجهه وكأنى أرى شخصا آخر غير الذى عرفته منذ سنوات طويلة .. كان هزيلا منكسرا.. عيناه متورمتان وكأنهما ثمرتا طماطم.. لقد كانت هذه آثار البكاء الذى انخرط فيه ساعات طويلة قبل أن أدخل اليه .

لقد شهد عبد الناصر لحظات عصيبة كثيرة فى حياته.. لكنه لم يستسلم للبكاء كما استسلم له فى تلك اللحظات.. بل أنه فى تلك اللحظات العصيبة التى مرت به كان يزداد تمسكا وعنادا. وكان أصلب من الصلابة ذاتها.. ولكنه فى هذا الموقف بالذات لم يكن جمال

عبد الناصر هو جمال عبد الناصر الذى عرفناه .

لقد وقع عليه خبر انتحار المشير وقع الصاعقة .. لم يكن يتوقع أن يقدم على ذلك خاصة وأن الاتصالات بينهما لم تنقطع حتى بعد أن أمر عبد الناصر باعتقاله فى بيته هو ومجموعة من الضباط من مؤيديه اثر وصول أنباء الى الرئيس عن حركة انقلاب يدبرها المشير ضده مع بعض القادة العسكريين .

وقد دخلت على الرئيس فى احدى لحظات الذروة فوجدته يتحدث مع المشير فى التليفون ويقول له ان الناس لا تعرف ما بيننا من صداقة.. ولهذا فانه لن يستجيب لمحاولات الوقيعة التى يسرى بها بعض المحيطين به.

لقد كان عبد الناصر يحاول فى تلك اللحظات أن يهدىء من روع المشير، بالرغم من انه كان قد أصدر قرارا باعفائه من جميع مناصبه فى اعقاب الهزيمة العسكرية.. الا أنه كان يحاول أن يقنع المشير بالخطوة التى اتخذها حياله ، بينما كا المشير ثائرا وغاضبا .

بيت أم ثكنة عسكرية ؟

وقد حاولت بدورى أن أعمل على تلطيف الاجواء بينهما فطلبت من عبد الناصر أن أذهب الى المشير فى بيته لأقوم « بتدليكه » حين علمت من الرئيس انه تعبان وأعصابه مرهقة وقد اتصل به عبد الناصر بنفسه ليبلغه اننى فى الطريق اليه . ذهبت الى بيت المشير بالجيزة فوجدته قد تحول الى ثكنة عسكرية ، هناك حشد كبير من الضباط والجنود ، وما أن رآنى بعض القادة العسكريين الذين كانوا متضامنين معه فى عملية التمرد التى قام بها حتى أصابتهم الدهشة بسبب حضورى الى بيت المشير فى هذا الوقت ونظروا الىَّ فى شك وريبة خاصة وأننى كنت أحمل فى يدى حقيبة لم يعرفوا اننى وضعت فيها ملابسى الرياضية وبعض الادوات التى استخدمها فى التدليك .

تجمع حولى ضباط المشير عند مدخل البيت ولكن أحداً لم يسألنى عن سبب حضورى، أو ماذا أحمل فى الحقيبة التى فى يدى، رغم ان تلك الاسئلة وغيرها كانت تبدو واضحة على وجوههم جميعا ، تركتهم فى حيرتهم ، وتوجهت الى غرفة المشير الذى ما أن رآنى حتى رحب بى، فحاولت أن أطيب خاطره وأن أعمل على تهدئته فقلت له « انت تعرف أن الرئيس يحبك ويقدرك جدا.. فلا تستجب للمحاولات التى يقوم بها البعض للوقيعة بينك وبين صديق عمرك » .. سألنى المشير مندهشا.. كيف أصدق ، أو يصدق الرئيس أن عبد الحكيم عامر يمكن أن يقوم بانقلاب عليه؟

استلقى المشير على سريره .. وقمت بتدليكه.. بينما كان الحوار بيننا لا ينقطع عن العلاقة

بينه وبين عبد الناصر خرجت من بيت المشير وسط حيرة وذهول المحيطين به وهم لا يعرفون لماذا أتيت وماذا فعلت .. وحين عدت الى عبد الناصر.. استقبلنى ضاحكا وقال لى.. ماذا فعلت هناك.. لقد « دربكت الدنيا » .

كان المشير عامر هو الذى اتصل بعبد الناصر بعد خروجى من عنده وأخبره برد فعل مرافقيه المحيطين به من حضورى ودهشتهم من وجود سكرتير عبد الناصر الخاص مع المشير فى هذا الجو المشحون بالتوتر بينهما.. وضحك الاثنان على هذا الموقف بسبب جهل هؤلاء بطبيعة العلاقة الحميمة التى تربط بينهما.

لم يحزن عبد الناصر كما حزن عندما علم بنبأ انتحار المشير عبد الحكيم عامر.. لقد جرب الحزن العميق قبل ذلك حين وقع الانفصال بين مصر وسورية.. وأصيب بمرض السكر فى أعقاب ذلك اليوم مباشرة .. بل وبدأت رحلته نحو النهاية منذ ذلك التاريخ .

وفى تقديرى أن الرئيس عبد الناصر جرب الموت ثلاث مرات ، وكانت كلها فى سبتمبر.. لقد مات أول مرة يوم الانفصال مع سوريا وكان ذلك يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، ومات مرة ثانية يوم انتحار المشير فى ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧، والمرة الثالثة والاخيرة كانت يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وهى الذكرى التاسعة للانفصال .. فى هذا اليوم انفصلت سورية عن مصر.. وفى هذا اليوم أيضا انفصلت روحه عن جسده .. ولكن بعد تسع سنوات !

واذكر انه استقبل انباء الانفصال باعصاب هادئة ، وطلب منى ان اتصل بجامعة القاهرة لأطلب من المسئولين الاستعداد لاستقبال الرئيس ليلقى خطابا هاما.

حين طلبت من الرئيس ان يرسل بعض قواتنا الخاصة من الصاعقة والمظلات ليقضى على حركة الانفصال التى قام بها عدد قليل من ضباط الجيش السورى بيما ظلت اكثرية القوات السورية موالية للوحدة وموالية لزعامة عبد الناصر ولكن الرئيس رفض ذلك رفضا قاطعا وقال لى كلمة لازلت اذكرها حتى الان .. انا يافهيم مش ممكن اعمل وحدة بالقوة او على دم...!

ولكن المشير عبد الحكيم عامر الذى اعتبر حركة الانفصال التى قام بها الجيش السورى موجهة اليه شخصيا، أمر بارسال بعض وحدات البحرية الى سورية لينضموا الى السوريين الوحدويين للقضاء على حركة الانفصال وإعادة الوحدة مع مصر.. ولكن حين علم عبد الناصر أصدر أمر بعودة القوات المصرية التى كانت فى طريقها فعلا الى سورية رافضا اعادة الوحدة مع سورية بالقوة .

لكن عبد الناصر فى مثل هذه المواقف قادرا على اتخاذ القرار الصحيح .. ولم تكن المفاجأة أو حجم الكارثة بالشىء الذى يمكن ان يصيب تفكيره بالتشويش او عدم التركيز.. وكان دائما يبدو فى اكثر المواقف حرجا قادرا على التماسك والوقوف بصلابة .

واذكر هنا انه فى عام ١٩٥٦ حين وقع العدوان الثلاثى على مصر.. قرر ان يذهب الى الازهر ليخطب فيه مناديا للجهاد .. وكانت خطبته تلقائية اثارت حماس الناس وحميتهم الوطنية.. فهبوا للدفاع عن وطنهم.. وقرر بعدها ان يذهب الى بورسعيد ليقاتل لكن رفاقه من اعضاء مجلس قيادة الثورة منعوه من ذلك واقنعوه بالبقاء فى القاهرة .

وقد انتقلنا باولاده من البيت فى منشية البكرى الى بيت اخر من بيوت الحراسات بالزمالك خوفا عليهم من اية غارات انتقامية تقوم بها طائرات الاعداء بعد ان تبين لنا ان الرئيس شخصيا هو الهدف من العدوان الثلاثى !!

وقد ظل ابناؤه طوال فترة الحرب فى بيت الزمالك بينما بقى عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة ليتابع المعركة بنفسه ، ولم يقم بزيارة اولاده طوال تلك الفترة سوى السيدة ام كلثوم التى كانت تردد عليهم من وقت لآخر للاطمئنان عليهم فقد كانت هى الاخرى تسكن قريبا منهم بالزمالك .

وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى ترك فيها اولاد عبد الناصر بيتهم بسبب بعض الظروف الطارئة حتى اثناء عدوان ١٩٦٧ لم يغادروا البيت ولم يطلبوا مغادرته.. وقد بقوا فيه بعد أن اقمنا لهم ملجأ تحت الارض يحميهم من الغارات المحتملة .

عبد الناصر .. المحافظ !!

كان عبد الناصر ابا وزوجا صعيديا، ولم يحدث ذات مرة ان نادى زوجته امامنا باسمها، فاذا اراد ان يناديها امامنا فكان يناديها باسم ابنها الكبير خالد او يا « اولاد » اما اذا اراد ان يذكر اسمها امامنا فكان يقول « الجماعة » أو « البيت » أو « المدام » وأحيانا كان يقول «شوف البيت ان كانوا عايزين حاجة » أو « المدام » كانت تطلب كذا أو « الجماعة كانوا يريدون كذا » .

أما السيدة الجليلة زوجة الرئيس رحمهما الله فكانت مثالا للزوجة والأم المصرية المكافحة الصبورة المؤمنة المدبرة ، كانت متواضعة الى اقصى حدود التواضع ولم نسمعها ترفع صوتها ابدا سواء أكان الرئيس حاضرا أو غائبا ولم تكن تشخط حتى فى ابنائها مهما قاموا أمامها بحركات صبيانية مثل كل الاطفال ولم تكن تنادى الرئيس باسمه أو حتى بكنيته المعروفة أبو خالد فكانت تقول له ياريس اذا ارادت أن توجه اليه الحديث او تقول له « يابابا » اذا كان ذلك فى حضور الاولاد اما اذا أرادت أن تذكره أمامنا فكانت تقول « الريس »، « الريس كان عايز كذا » أو « الريس كان رأيه كذا » .. كذلك لم تكن تنادى أحداً منا باسمه مجردا فكانت تقول ياعم فلان للطباخين أو السفرجية أو العاملين بالبيت أما نحن فى السكرتارية فكانت تنادى

اسماءنا مسبوقة بالرتبة العسكرية.

وكان بيت عبد الناصر يسوده الاحترام والتفاهم بين الجميع ، أهل البيت والعاملين فيه ، أو بين العاملين بعضهم بعضا ، وكان الاولاد مثالا للادب والنظام وحسن التربية ، ولم يحدث أن تعامل واحد منهم مع اى احد من العاملين على أنه « ابن الرئيس » فكانوا يطلبون ولم يكونوا يأمرون.

صداقة الآباء للابناء

ومن بين جميع الاولاد الذين كانوا يترددون على بيت الرئيس كان اولاد عبد الناصر أكثر ارتباطا بأولاد الزعيم الافريقى لومومبا وأولاد الرئيس نيكروما الزعيم الغانى الذى كان متزوجا من سيدة مصرية .

أما أولاد المشير عامر فكان بيت الرئيس بمثابة بيتهم الثانى ، فكانوا يحضرون للعب مع أولاد الرئيس ، كما كان اولاد الرئيس يذهبون الى اللعب معهم خاصة فى فترة الصيف حيث كانت العائلتان تذهبان الى المعمورة ، وكانت استراحة المشير مجاورة لاستراحة عبد الناصر، وقد انعكست العلاقات القوية التى كانت تربط بين المشير وبين الرئيس على أولادهما، فكانوا يقضون معظم الوقت معا ، وقد أطلق الرئيس على أحد ابنائه اسم « عبد الحكيم » .. كما أطلق عبد الحكم اسم جمال على اكبر ابنائه أيضا.

كان عبد الناصر يحب بيته كثيرا، وهو فى هذا لم يختلف عن أى مصرى ، فكان نادرا ما يتناول طعامه بعيدا عن أولاده خارج البيت .

حينما كنا نسافر خارج البلاد فى زيارة لاحدى الدول كان الرئيس يطلب اصطحاب طباخ معنا، خاصة فى البلاد الافريقية التى تختلف طريقة اعداد الطعام فيها كثيرا عن طريقتنا، وحينما كان يأتينا ضيف من الخارج كنا نسأل مرافقيه عن أصناف الطعام التى يحب تناولها، أما اذا كان هناك أحد الطباخين من مرافقيه فكنا نوفر له كل مايريده ، وكان طباخ الرئيس يعاونه فى اعداد الطعام للضيف الزائر.

الرئيس يطلب « الحرنكش »

وكان الرئيس بسيطا فى أكله ، وأذكر انه ذات يوم طلب منى « حرنكش »، كانت هذه هى المرة الاولى التى اسمع فيها هذا الاسم، ولهذا فقد تصورت أن الرئيس يداعبنى كعادته أحيانا فقلت له مندهشا « حرنكش ايه ؟ يطلع ايه الحرنكش ده ؟ » ، واندهش الرئيس لاننى لا أعرف « الحرنكش » ولم يصدق حقيقة اننى لا أعرفه ، وحينما تأكد اننى فعلا لا أعرفه قال لى انه

نوع من الثمار صفراء اللون يشبه النبق أو السدر، وفعلا ذهبت الى السوق وأحضرت له «الحرنكش ».. وكان الرئيس يحبه كثيرا رغم أننى لم أكن قد سمعت به من قبل.

وكان عبد الناصر يمضى معظم وقته فى القراءة التى كان لا يعرف غيرها طوال فترة بقائه بالبيت ، وكانت غرفة المكتب هى البيت النسبة له ، كنا نحضر له الكتب ، جميع الكتب السياسية والتاريخية وكتب المذاكرات والسيرة الذاتية التى تصدر أولا بأول ، وكان أحيانا يزودنا هو بقائمة بأسماء بعض الكتب التى يريد قراءتها. كما كان يتلقى بعض النسخ وعليها اهداء من مؤلفيها، وخاصة كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل ، واحمد بهاء الدين .

أما التقارير اليومية التى كانت ترد اليه من المخابرات وجهاز المباحث فكان يقرأها بنفسه وأحيانا كان يطلب زيادة بعض المعلومات حول واقعة معينة وردت اليه فى أحد هذه التقارير كما كان يطلب التحقيق فى بعض الوقائع .

فى البداية كنت أنا ومحمد أحمد المسئولين عن تلقى تلك التقارير واعدادها للقراءة فى ملف ندخل به على الرئيس يوميا.. ولم يكن ينام قبل أن ينتهى من قراءتها جميعا ، ولهذا كنا ننظر الى غرفة مكتبه فنراها مضاءة حتى الساعة الثالثة أو الرابعة كل ليلة .

وبعد الانفصال كان سامى شرف هو المسئول عن تلقى تلك التقارير وادخالها على الرئيس، وقد تم اعداد مكتب له لهذا الغرض بجوار بيت الرئيس ليكون قريبا منه.

وذات يوم استدعانى الرئيس الى مكتبه .. ثم رفع عينه عن الاوراق التى كانت أمامه وقال لى « يافهيم أنا أشكرك أنت وجميع العاملين معى بالسكرتارية ، لان احدا لم يتهمكم بشىء فى أى تقرير» فقلت له « يا افندم نحمد الله على ذلك ».. فطلب منى أن أبلغ شكره لجميع العاملين فى بيته .

كانت التقارير تصل الى الرئيس يوميا عن تصرفات جميع العاملين فى أجهزة الحكم، خاصة عن مدى التزامهم بالاخلاق والنزاهة وطهارة اليد. وكان أكثر ما يثير غضب عبد الناصر وثورته هو أن يعرف أن أحد رجاله قد خان الامانة ومد يده الى شىء ليس من حقه ولم يكن فى امكان أحد أن يفلت من عقابه اذا ثبت له ذلك. حتى بعض اقاربه واخوته أدخلهم المعتقل وعرضهم للنفى حين أساءوا ربما بدون قصد منهم ، وفى بعض الامور الصغيرة ، وكلما كان الشخص المسىء قريبا من الرئيس كان العقاب مضاعفا !

ولم يكن عبد الناصر يأخذ بكل ما يجىء فى التقارير قبل أن يتأكد بنفسه أنها حقائق وليست مجرد اشاعات مغرضة، أو نوع من الدس والنكاية.. فكان يصل الى الحقيقة بأكثر من طريق يتابعها جميعا بنفسه .

أذكر انه جاءتنى ذات يوم فى البريد « مظلمة » او شكوى تقدم بها أحد كبار الموظفين الى

الرئيس، وكنا بالإسكندرية صيفا، يشكو اليه أنه مرشح للترقى بدرجة وكيل وزارة ، ولكن المسئولين فضلوا عليه شخصا آخر لا يستحق الترقية ، ويبدو أن هذا المتظلم كان«ابن حلال » ففى نفس اوراق البريد وجدت قرارا جمهورياً كان معدا بترقية هذا الشخص الذى لا يستحق الترقية.. فأرفقت مسودة القرار الجمهورى مع الشكوى المقدمة من المتظلم.. وقرأهما الرئيس معا.. وأشر عليهما للسيد كمال رفعت الذى كان وزيرا للعمل فى ذلك الوقت بالتحقيق واتخاذ اللازم واحاطته علما بالحقيقة . وبعد التحقيق ، ثبت فعلا أن صاحب الشكوى هو المستحق للترقية وليس الشخص الآخر، فتم الغاء القرار الجمهورى، وأعد قرار آخر بترقية صاحب الشكوى أو صاحب الحق، ومساءلة من كان السبب فى هذا الظلم.

وفى كثير من الاحيان كان الرئيس يأمر بالتحقيق حول بعض الوقائع والشكاوى التى تنشرها الصحف.. بل وكان يقرأ الكاريكاتير عن التموين مثلا ويأمر بالتحقيق فيه.. وكانت مجلة روز اليوسف فى ذلك الوقت تنشر الكثير من شكاوى الناس أو الكاريكاتير الذى يثير بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية.. فكان الرئيس يؤشر عليها ويطالب الوزير المسئول أو المسئول المختص بالتحقيق الذى كان يتابع نتائجه بنفسه حتى يطمئن تماما الى أن المشكلة قد انتهت .

وكان يصل الى بريد عبد الناصر يوميا الاف الخطابات التى تحمل اليه شكاوى الناس وهمومهم.. وكان حريصا على أن يقرأ معظمها بنفسه.. وقد أمر بتخصيص ادارة مستقلة تتلقى رسائل الناس وشكاواهم والرد عليها.

وكانت مطالب الناس متنوعة ومختلفة.. فمنهم من كان يطلب صورة تحمل توقيعه، ومنهم من كان يطلب مساعدة مالية ، ومنهم من كان ينتقد بعض الاوضاع ، ومنهم من كان يقدم بعض الاقتراحات لحلول بعض المشكلات ، ومنهم من كان يكتفى بمجرد المدح والدعاء للرئيس بالسداد والتوفيق ، وهكذا..

ooo



○ عبد الناصر كان يقرأ الصحف .. ليقف على مشاكل الناس !

○ لماذا رفض ارتداء الأفرول على الجبهة ؟

○ كيف كان يختار قمصانه وأحذيته وجواربه ؟

لم يكن عبد الناصر بالرجل الذى يهتم بـ « الشياكة »

هذا هو مايعتقده الكثيرون.. ولكن محمود فهيم، سكرتيره الخاص، يرى أن عبد الناصر كان رجلا «شيك» ولكن للشياكة أو الاناقة لديه مفهوما خاصا يختلف عنه لدى غيره من نجوم المجتمع والمشاهير، فالاناقة بالنسبة للرئيس كانت تعنى البساطة وعدم التكلف.

كان يرى أن «اللبس بالرجل» ، وليس «الرجل باللبس» فكان يؤمن بأن أحدث الازياء وأكثرها اناقة لم تكن لتجعل منه زعيما أو شخصا جديرا بالاحترام، ان لم يكن هو - فى ذاته وبذاته - جديرا بالاحترام وبمكانته مهما كان اللبس الذى يبدو به أمام الناس، حتى لو ارتدى «الخيش».

لقد كان عبد الناصر رجلا «ملو هدومه» كما يقول المصريون فى تعبيراتهم الدارجة، ولهذا فان الذين كانوا ينظرون اليه كان يعنيهم الشخص والشخصية، وليس مايرتدى.

ولعل الاهم فى شخصيته أنه رجل كان على وفاق مع نفسه، فلم يكن يقول شيئا ويتصرف على عكس مايقول.. فى الوقت الذى كان يرفع فيه الشعارات الوطنية، كان يرفضَ أن يضع على جسده قميصا مستوردا، ويأبى الا أن يرتدى قماشاً وطنيا، وصناعة وطنية.

ونترك محمود فهيم الرجل الذى كان مسئولا عن لبس الرئيس ليحكى لنا ماذا وكيف كان يلبس.

منذ أن عين جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية وهو لا يعرف للفلوس شكلا.. لم يكن يتسلم فى يده أية مبالغ وبالتالى لم تكن تخرج من يده أية نقود لأحد.كان محمد أحمد هو الذى يتسلم مرتبه وهو الذى يتولى الصرف منه بناء على تعليمات من الرئيس أو من السيدة زوجته وكان عليه قبل بداية اى شهر جديد أن يسلم الفواتير بالمبالغ التى صرفها للرئيس فكان يجلس كل أول شهر مع الرئيس فى «جلسة حساب»يناقشان خلالها ماتم صرفه، وعلى أى نحو تم هذا الصرف، وغالبا ماكان لا يتبقى شىء من راتبه.

وحين كان محمد أحمد يسافر مع الرئيس الى الخارج كنت أبقى أنا بالبيت فأتولى الصرف بناء على توجيهات السيدة زوجة الرئيس فكانت تقدم قائمة يومية بطلبات المنزل، وأقوم أنا بتوجيه العمال والموظفين بشراء مايلزم للبيت، واستلم منهم الفواتير بعد الشراء، ثم أقوم بتسليمها الى الرئيس عند عودته أو الى السيد محمد أحمد.

زكاة الرئيس

كان الرئيس يخرج الزكاة دائما من أمواله ولو كان الشرع يسمح لى بالحديث فى هذه القضية بالذات لذكرت الكثيرين من الناس الفقراء الذين كانوا يتلقون من الرئيس بعض الاموال

التى كان يسلمها لهم كزكاة. ولم يكن يعطى لهؤلاء الفقراء مباشرة، ولكنه كان يطلب منى أو من محمد أحمد اعطاءهم بعض المبالغ، وكان يسألنا ليتأكد من أننا قد سلمناها لهم بالفعل وأننا لم ننس ذلك فى غمرة مشاغلنا ومسئولياتنا .وفى أحيان كثيرة كان يطلب منا أن نعطى «عم امام» أو «عم شعبان» وهما سائقا سيارته بعض المساعدات زيادة على ماكانا يصرفانه من راتب لانهما - «أصحاب عيال» - ولم يكن يدع مناسبة تمر دون أن يفعل ذلك مع كل العاملين معه فى البيت.. ففى الأعياد والمواسم وبداية العام الدراسى وغير ذلك من المناسبات كان الرئيس يأمر باعطاء جميع العاملين بعض المبالغ فوق مرتباتهم كنوع من المشاركة لهم فى هذه المناسبة.. وكانت هذه المبالغ - بطبيعة الحال - تقتطع من راتبه، أى من جيبه الخاص.

الرئيس ..والتقارير

كان الرئس يتابع يوميا - وبانتظام - الاطلاع على جميع التقارير التى تتحدث عن سير الامور فى مصر، وخاصة التقارير المتعلقة بالاسعار وتكاليف المعيشة والازمات التموينية.

ولم يكن الرئيس يكتفى بقراءة تلك التقارير.. بل كان يسألنا عن سير الامور المتعلقة بهذه المسائل الهامة.. وكان يتحدث مثلا مع سائقيه عن الاسعار وتكاليف المعيشة.. كما كان يسألنا دائما الناس عاملة ايه؟.. الناس مبسوطين ولا لأ؟

لقد كان هذا هو السؤال الذى يشغله أكثر من اى شىء آخر..

أذكر أنه قرأ ذات يوم فى احدى الصحف عن غرق اثنين من المصطافين بالاسكندرية.. فانزعج جدا وسألنى كيف يغرق اثنان من المصطافين أمام الناس ولا يستطيع أحد انقاذهما؟ فقلت له ان الغطاسين ناس غلابة، وكبار فى السن، ولا يحصلون على العائد والذى يشجعهم على أداء عملهم.. فازداد انزعاج الرئيس، كيف تكون هذه الفئة مسئولة عن أرواح الناس.. وليس هناك من هو مسئول عن أرواحهم.

طلب الرئيس منى أن أدرس هذا الامر بنفسى وأن أقدم له تقريرا وافيا عن حياة الغطاسين وأحوال معيشتهم . والتقيت مع حسين صبحى محافظ الاسكندرية فى ذلك الوقت وشكلت لجنة من المحافظة، وقد تبين لنا أن هؤلاء الغطاسين يعملون بطريقة موسمية، اى فى موسم الصيف فقط وبلا أى تدريب أو تأمين أو حتى رعاية صحية. وحين سألت عن الراتب الذى يتقاضاه الغطاس.. عرفت أنه يتقاضى أربعة جنيهات شهريا .. ولمدة أربعة أشهر فقط هى أشهر فصل الصيف.. ثم يعود بعدها الى بلده فى احدى قرى الريف، ليبقى هناك فصل الشتاء انتظارا لموسم الاصطياف القادم. وحين قدمت التقرير الى الرئيس أمر بأن يعين الغطاسون كعمال بالمحافظة وأن يتقاضوا رواتب شهرية، وأن يؤمن على حياتهم ضد الغرق أو

الموت.. وأن يجرى عليهم الكشف الطبى بشكل دورى، وأن يتم تدريبهم باستمرار على أداء عملهم.. على ألا يقل راتب كل منهم عن خمسة عشر جنيها شهريا فى ذلك الوقت.

لقد كان الغطاسون يعيشون حياة الكفاف بالرغم من ان مسئوليتهم هى ارواح الناس.. ولكن أحدا لم يكن مسئولا عن أرواحهم؟ ولهذا تعددت حوادث الغرق على الشاطىء وأصبح الاصطياف أو النزول الى البحر مغامرة غير مأمونة.. ولكن بعد أن تغيرت حياة الغطاسين وأصبحوا آمنين على حياتهم ومستقبلهم أصبح نادرا ما نسمع عن حادث غرق طوال موسم الصيف.

وقد رويت للرئيس وأنا اشرح له حالة هؤلاء الغطاسين حادثا وقع أمامى حين كنت أسبح ذات يوم فى احد شواطىء الاسكندرية وسمعت صرخات استغاثة من اثنين من المصطافين كانا يصارعان الغرق. فأسرعت نحو أحدهما وأمسكت به وناولته الى الغطاس الذى كان يسبح ببطء نحوه.. ثم أسرعت الى الآخر فانتشلته ووصلت به الى البر.. ونظرت الى الغطاس فوجدته يقاوم الغرق مع الفريق الآخر !!

الرئيس .. وأرواح الناس

وهكذا تغيرت حالة فئة من المواطنين بسبب خبر قرأه الرئيس عبد الناصر فى احدى الصحف.. وكان يمكن أن يمر كغيره من الاخبار العادية.. ولكن عبد الناصر لم ينظر اليه على أنه خبر عادى.. فقد كان يتعلق بأرواح الناس.. وهذا اكثر الامور جذبا لاهتمام الرئيس وعنايته.. فتوقف عنده متسائلا، وباحثا، فكان مفتاحه الى التغيير الشامل لفئة من المواطنين كانت تعيش على هامش الحياة.. فأخرجها الى النور لتعيش حياة كريمة آمنة.

وفى احدى المرات.. قرأ الرئيس عن وقوع حادث انقلاب قطار على خط الصعيد.. فانزعج جدا وتساءل غاضبا. كيف وقع هذا الحادث.. ومن المسئول عن وقوعه.. وأمرنى بمتابعة التحقيقات التى تجرى فى هذا الشأن.

لقد كان عبد الناصر مهتما الى اقصى درجة بحياة الناس وأرواحهم وعند وقوع أى حادث صغير كان يسأل ويتحقق.. هل وقع الحادث بسبب اهمال المسئولين.. أو بسبب قصور فى النظام أو بسبب المواطنين أنفسهم.. واذا عرف ان السبب فى وقوع الحادث اهمال موظف او تقصير من الدولة لم يكن يهدأ حتى يوقع العقاب المناسب على المسئول.. ولم يكن يكتفى بذلك بل يعمل على ازالة الاسباب وبأقصى سرعة حتى لا تتكرر مثل تلك الحوادث الاليمة. وحينما يتأكد أن الحادث بسبب موظفى الحكومة أو بتقصير منها كان يأمر بصرف تعويضات للضحايا أو المتضررين.

لقد كانت الفئات الكادحة والبسيطة من ابناء الشعب المصرى هى مركز اهتمام الرئيس وبؤرة تفكيره دائما.

أذكر هنا أنه فى كل مرة كان يأتى فيها ضيف كبير لزيارتنا فى مصر.. ويكون مقررا خروج الرئيس لاستقباله بنفسه واصطحابه الى مقر اقامته.. كان يتصل بنا قبلها طالبا منى الاتصال بمدير الأمن حتى لا يخرج جنود الأمن الى الطريق فى انتظار موكب الرئيس الا قبل الموعد بساعة على الاكثر.

فقد لاحظ الرئيس أن جنود الأمن كانوا يقفون ساعات طويلة فى الطرق والشوارع المقرر السير فيها اثناء الموكب قبل الموعد المحدد متعرضين لحرارة الشمس صيفا أو المطر والبرد شتاء.. فتضايق الرئيس لذلك وطلب عدم خروج هؤلاء الى الشارع الا قبل الموعد المحدد بساعة على الاكثر.

العيدية من الرئيس

لم تكن مرة واحدة أو وحيدة التى طلب الرئيس فيها ذلك.. ففى كل مرة كان يخرج ليستقبل أحد ضيوفه كان يطلب منا ذلك، ليتأكد أننا لم ننس تعليماته فى هذا الشأن.. وكان يسألنى أثناء الموكب مشيرا الى جنود الحرس «أظن دول واقفين من الصبح على كده» ولم يكن يطمئن الا بعد أن أؤكد له أنهم لم يخرجوا الا منذ نصف ساعة أو ساعة على الاكثر.

وفى الاعياد.. كان من عادة الرئيس أن يخرج لصلاة العيد فى الصباح الباكر.. وقبل أن يركب سيارته لم يكن ينسى التوجه الى أفراد الحرس بالبيت مهنئا بالعيد. ويصافحهم فردا فردا وعند عودته من المسجد كان يخرج اليهم «بعلبة الحلوى» بنفسه ليهنئهم مرة أخرى.. وفى بعض الاحيان كان يعطيهم «العيدية» كما يحدث فى اى بيت مصرى حين يعطى الاب العيدية لأبنائه صباح يوم العيد.

وكما كان الرئيس معتزا بنفسه، كان يرفض أى سلوك من الآخرين يبدو منه عدم الاعتزاز بالنفس.. وعلى سبيل المثال كان يرفض تماما أن ينحنى أحد على يده ليقبلها.. فكان يسحب يده سريعا متأذيا.. ويربت على كتف هذا الشخص فى تودد، رغم أن ذلك من العادات المألوفة فى الريف بين الاب وأبنائه، الا أنه كان يرفضه تماما.

وفى علاقة الرئيس بأبنائه لم يكن لمثل هذه الصورة وجود، فلم أر أحدا من ابنائه – وفى اية مناسبة – ينحنى ليقبل يد والده الرئيس، ولم أر الرئيس نفسه ينحنى ليقبل يد والده .. بل كان الرئيس يكره الانحناء. ولم أشاهده يوما ينحنى – ولو قليلا – وهو يسلم على أحد ضيوفه حتى من السيدات زوجات الرؤساء والزعماء، رغم أن ذلك يحدث كثيرا فى استقبالات رؤساء

البلاد الاوروبية.

ولم أذكر أن الرئيس كان يدخن فى حضور والده.. رغم أن العلاقة بينهما كانت علاقة صديقين أكثر منها علاقة بين أب وابنه.. الا أن الرئيس لم يكن يدخن أثناء وجوده مع والده.. فكان يدخل الى غرفة المكتب ليدخن سيجارته ثم يعود ليستكمل جلسته مع والده مرة أخرى.

وكما كانت العلاقة بين الرئيس وأبيه.. كانت العلاقة بينه وبين ابنائه.. فكان يضع يده فى أيديهم اثناء سيره معهم فى الحديقة أو يضع يده على اكتافهم.. وكان حريصا على أن يمضى يوما كل اسبوع مع أولاده فى القناطر أو برج العرب أو الاسكندرية.

لقد كانت مسئوليات الرئيس كبيرة وكثيرة.. فكان يقضى معظم أوقاته فى العمل ليلا ونهارا.. ولهذا فلم يكن لديه فى برنامجه اليومى وقت يقضيه مع أولاده بالبيت.. فكان يكتفى بمتابعتهم، بالسؤال عنهم وعن أحوالهم، وفى نهاية الاسبوع كان يعوضهم عن غيابه بتخصيص يوم لهم.. ولكن فى معظم الاحوال لم يكن هذا اليوم لهم بالكامل.. فغالبا ما كان يقطعه بسبب بعض الظروف الطارئة التى كانت تستدعى منه التفرغ.. ولم يكن الاولاد يضيقون بذلك.. فقد تعودوا عليه.. وأصبحوا متفهمين لموقف والدهم.

عبد الناصر فى الجبهة

بعد النكسة.. كان الرئيس يفضل قضاء يوم العيد مع ابنائه الجنود المرابطين بالجبهة، فكان يذهب الى هناك ليعايد الجنود والضباط ويمضى معهم اليوم بكامله. وفى كل مرة كان الرئيس يعود فيها من زيارة للجبهة، كان يبدو عليه الارتياح والتفاؤل، رغم التعب الذى كان يلاقيه فى زيارته متجولا بين مواقع الجنود ودشمهم.

كان عبد الناصر حريصا على أن يستمع من الجنود بنفسه.. فكان يسأل كل شخص منهم عن أحواله وأحوال أسرته وعن مشكلاتهم، وكانت معظم شكاوى الجنود تدور حول بعض المشكلات العائلية مثل الاب المريض الذى يحتاج الى علاج أو الجندى الذى يحتاج الى أجازة ليدخل الامتحان أو الذى يريد علاجا لأحد أبنائه، فكان الرئيس يلبى طلباتهم فورا بعد أن يأمرنا بكتابة اسمه وعنوانه وملخص لمشكلته وكان يتابع حلول تلك المشكلات بنفسه بعد عودته.

وأثناء زيارة الرئيس للجبهة.. لم يكن يطلب منا أية ترتيبات أمنية معينة.. فكان يعتبر أمنه وسلامته مسئولية الجنود الذين سيكون بينهم.. ولم يكن يتصور أن يكون هناك جنود يحمونه وسط الجنود فكانت زيارته للجبهة من النوع المفاجىء الذى لا يحتاج لاية ترتيبات مسبقة، وغالبا ماكان يختار المواقع التى سيزورها بنفسه دون أن يدع هذا الامر لقيادة الجيش. وكان

الرئيس يختار المواقع العسكرية الاكثر تقدما فى خطوط التماس مع العدو ليعطى للجنود شحنة معنوية زائدة.

ولم يكن الرئيس يرتدى أثناء زيارته للجبهة زيا عسكريا بل كان يذهب بزيه العادى وكان يقول لنا أن لبس المقاتلين للمقاتلين وفى احدى المرات طلب منه أن يرتدى الزى العسكرى حتى لا يسهل على العدو تمييزه بملابسه المدنية وبالتالى يصبح من السهل ضربه فرفض الرئيس ذلك وقال أن الجنود سوف يفهمون أنى أضلل العدو أو أتخفى وراء لبسهم خوفا من الضرب، وهذا لا يجوز، لانه سوف يؤثر كثيرا على معنوياتهم بل يجب أن أبدوا أمامهم أكثر شجاعة وعدم مبالاة بالحياة وأن اكون نموذجا لهم فى مواجهة الموت وطلب الشهادة.

أناقةالرئيس

كان عبد النصار حريصا على هندامه بالرغم مما قد يبدو للبعض من انه لم يكن مهتما بهذه المسألة، والحقيقة أنه كان يهتم بمظهره كثيرا ويحرص على أن يبدو فى أكمل صورة وقد يرى البعض أن كثرة المسئوليات والمشاغل لم تكن تدع له الوقت الكافى للعناية بهندامه ومظهره ولكنه فى الحقيقة كان أنيقا بالرغم من قلة الوقت الذى كان يمنحه للاهتمام بهذه المسألة.فلم ألاحظ أن الرئيس يحب الوقوف أمام المرآة طويلا لقد كان يكتفى بمجرد القاء نظرة عابرة بعد انتهائه من اللبس ولم يكن عادته ان يسأل أحدا «مارأيك فى هذه البدلة أو هذا القميص» كان معتدا بنفسه وبشخصه، واثقا فى ذاته. ومن الألوان التى كان الرئيس يفضلها لبدله «البنى»، و«الرمادى»، وهما من الالوان الغامقة التى ربما لم تكن تناسب لون بشرته المائل الى السمرة.. ولكنها كانت تناسب قامته المديدة وصدره العريض.. فكانت تضيف الى هيبته هيبة.. والى وقاره وقارا. كانت قمصانه من اللون الابيض، معظم – ان لم يكن كل – قمصانه من هذا اللون.. وهو اكثر الألوان مناسبة لبشرته السمراء، وكان نادرا ما يلبس قميصا جاهزا، بل كان يفضل التفصيل.. وكان الرئيس يميل الى تفصيل الملابس الواسعة الفضفاضة.. ويكره الملابس الضيقة التى تحد من حركته وتقيده.

بساطة عبد الناصر

كان يفضل القماش الوطنى من الصناعة المصرية، على أى قماش آخر.. فكانت بدله من أصواف المحلة، وقمصانه من مصانع الشوربجى، وملابسه الداخلية من «جيل ».

وحين كان بعض الرؤساء أو الزعماء أو الاصدقاء يهدونه قماشا أجنبيا، كان يتنازل عنه لاخوته أو والده أو أصدقائه .

أذكر هنا أنه كان يزور معرض القاهرة الصناعى الدولى، حين كان لا يزال بأرض المعارض بالجزيرة، توقف أمام جناح احدى الشركات التى تقوم بصناعة الملابس الداخلية من القطن المصرى، وبينما كان مسئول الجناح يشرح له منتجات الشركة، توقف الرئيس متسائلا عن نوع معين من «الفانلات الداخلية»، ولم يفهم مسئول الجناح قصد الرئيس.. فما كان منه الا أن رفع قميصه وأبرز الفانلة التى يرتديها تحته.. وقال له.. مثل هذه !!

-أما الاحذية.. فكنا نختار له عددا منها من عدة محلات بالقاهرة ونحملها اليه فى البيت ليختار من بينها زوجين أو ثلاثة.. ونقوم باعادة الباقى الى محلاتها.

كذلك كان الرئيس يفضل الجوارب القطن من الصناعة المصرية، لانها اكثر قدرة على تحمل وامتصاص العرق.. ولم يكن يفضل ارتداء الجوارب النايلون مطلقا.. وكان عادة يرتدى الجورب بنفس لون البنطلون أو مناسبا له.

وبالرغم من حرص الرئيس على هندامه وحسن مظهره.. الا أنه كان قنوعا.. فلم يكن من هواة «الاقتناء» أو لديه شهوة الامتلاك.. فلم يكن يهتم بعدد ما يملك من بدل أو أحذية أو قمصان.. ولكن المهم أن يكون لديه ما يكفيه ويناسبه.

لقد كان عبد الناصر يجمع فى لبسه بين الاناقة والبساطة.. فكان أول حاكم مصرى يرتدى القميص نصف الكم فى استقبالاته الرسمية ولم يكن يحب لبس الكرافتة فى الصيف.. بل كان يحب أن يكون «سبور» بالقميص الابيض النصف كم.. والبنطلون.. وكان فى غير اوقات العمل الرسمية يرتدى «الصندل» أو النعال ذى الاصبع!

وفى زياراته الرسمية للهند، والدول الاخرى التى تتميز بالمناخ الحار.. كان الرئيس يرتدى القميص نصف الكم، وهو ما يناسب مناخ تلك البلاد، دون النظر الى قيود الرسميات أو البروتوكول.

وكما كان عبد الناصر يفضل الصناعة الوطنية.. كان يكره أن يرى زملاءه أو العاملين معه يرتدون شيئا مستوردا.. فكان كثيرا ما يسخر منهم فى مداعبة لطيفة.. وعلى سبيل المثال اذا رأنى أرتدى «كرافتة سيلكا» كان يقول لى.. ايه يافهيم لابس لى كرافتة مستوردة وعامللى خواجة؟.. مالها بس الكرافتات المصرية؟

الرجل .. أم اللبس ؟

ليس الرجل باللبس.. ولكن اللبس بالرجل..

هذا ماكان ينطبق على عبد الناصر أكثر مما ينطبق على غيره من رؤساء العالم وزعمائه.. فكانت «هيبته» تطغى على اى شىء آخر.. وحين تنظر لترى عبد الناصر لم يكن يعنيك لبسه

بقدر ما كان يعنيك طلعته وهيئته وهيبته.. ومع رجل له شخصية عبد الناصر.. ربما تنسى ماذا كان يلبس.. ولكن لا تنسى ابدا أنك قد رأيته..

ولا أذكر الآن، رغم السنوات الطويلة التى قضيتها معه، اننى نظرت اليه لا تحقق من لبسه.. فبمجرد النظر اليه تنسى كل شىء وتتذكر شيئا واحداً، انك امام جمال عبد الناصر !!

كان عبد الناصر قوى الملاحظة.. لماحا الى أقصى درجة، أذكر الآن أننى كنت قد وضعت بعض الملفات على مكتبه ليطلع عليها.. ودخلت معه الى المكتب.. فوقع نظره على الملفات فلاحظ أن ترتيبها قد اختلف عما كان عليه أول الامر.. وأن ملفا معينا أصبح فوق الملفات جميعا.. فنظر الىّ متسائلا.. الملف ده بتاع ايه؟.. فقلت له هذا ملف شخص معين كان فى حاجة الى العلاج فى الخارج.. فاطلع عليه الرئيس ثم وقعه وأعطاه لى وهو يبتسم!!

لقد فهم الرئيس أننى معنى بأمر هذا الشخص.. وأننى قمت بسحب الملف الخاص به ووضعه فوق الملفات جميعا، بمجرد نظرة عابرة.

قوى الملاحظة

لقد كانت هذه عادة عنده دائما.. قوة الملاحظة.. كانت أهم ما يميز شخصيته.. وكثيرا ما كنت أدخل اليه فى غرفة مكتبه فكان يفهم ما أريد قوله بمجرد أن ينظر الىّ.

لقد كان كذلك مع الجميع ولم يكن معى وحدى.. فكان يوفر الكثير من الحرج على العاملين معه بذكائه اللماح وقوة ملاحظته النادرة!!

لم يكن ينسى شيئا أبدا، ولا «تفوته الواحدة» كما يقولون..

على سبيل المثال كنت تطلب منه شيئا فيسكت.. وبعد ثلاثة أيام أو أكثر كان يفاجئك بتلبية طلبك دون أن تفاتحه فيه مرة أخرى.. بل ربما تكون قد يئست من تحقيقه.. ففى نفس الوقت الذى تقول فيه لنفسك.. معقول يكون الريس لسه فاكر؟ تجده يقول لك.. اتصل بفلان فقد حدثته فى الامر الفلانى.. أو اذهب الى فلان ليعطيك ماطلبته.. وفى بعض الاحيان كان يطلب منا شيئا معينا.. وبعد أيام.. وربما شهور.. تجده يفاجئك بالسؤال عنه.. ماذا فعلت فى الامر الفلانى؟ ولهذا كنا نسارع الى تلبية وتنفيذ طلباته ولا نتوانى عن ذلك لاننا كنا نعرف أنه حتما - طال الزمن أم قصر - سوف يسألنا عنها وسوف يتذكرها.

والغريب أنه بعد أن وقع فى براثن المرض.. واشتدت عليه وطأته.. لم يغير ذلك من أمره شيئا،.. فكانت قوة ملاحظته، وصفاء ذهنه، ودرجة تركيزه.. كما هى.. لم تتأثر.

ooo

https://t.me/montlq

٨

○ عبد الناصر أهدانى.. سيارة « تيتو » .

○ حينما حذر أولاده : اذا كسرتم شيئا.. سوف ندفع ثمنه للدولة .

○ الموبيليا فى بيت عبد الناصر.. كانت « عهدة » !

○ طلبنا أن نضع له صورة فى البيت .. فقال : هل يكرم المرء فى منزله ؟

○ رفض ارتداء القميص «الواقى من الرصاص» طوال حياته .

لم تكد تمضى الايام على وفاة جمال عبد الناصر.. حتى خرجت الاقلام أياها تنهش فى جسده، فلم يتركوا نقيصة من نقائص الخلق الا ورموه بها.. ولم يدعوا رذيلة من رذائل البشر الا وألصقوها به.

ولم يكتف هؤلاء بسلب الرجل محاسنه وحسناته.. بل ألصقوا به مساوىء غيره.. فاتهموه فى دينه وعرضه، وذمته، وكأنه لم يكن سوى مجرد «بعبع» خرج من القمقم «ثائراً» يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

والحقيقة أن عبد الناصر كان أبعد ما يكون عن تلك الصورة البشعة التى حاولوا رسمها له.

لقد صادر أراضى الناس.. فهل يستطيع أحد أن يدلنا على «فدان واحد» ضمه عبد الناصر الى أملاكه؟

بل هل يستطيع أحد أن يدلنا على هذه الاملاك، وهو الذى عاش ومات ولم يكن يملك سوى راتبه الحكومى؟

لقد تحدثوا عن نهب «القصور الملكية» وسرقتها.. ونسوا، أو تناسوا أن رئيس مصر وزعيمها، كان يعيش في بيت كل مافيه كان «عهدة» وقع الرئيس شخصيا باستلامها على الكشوف التى أرسلت اليه من الاشغال العسكرية باعتبارها مالكة البيت ومافيه.

وفى الوقت الذى كان فيه كل منا يمتلك ما يحتويه بيته من أثاث وأشياء، لم يكن عبد الناصر يمتلك شيئا فى بيته.. وكأنه واحد من النزلاء فى أحد الفنادق.

والآن.. نترك «محمود فهيم» يستكمل لنا صورة البيت الذى نسميه تجاوزا «بيت الرئيس»..

لقد كان «الرئيس» حريصا على راحة الذين يعملون معه.. والاطمئنان على أحوالهم دائما.. لقد كان يعمل على راحتهم.. كما كانوا هم يعملون على راحته..

وأذكر أنه بعد التحاقى بالعمل معه فى السكرتارية الخاصة.. أن سألنى عما اذا كان لدى سيارة خاصة أو لا.. والحقيقة أنه كانت عندى سيارة فعلا ولكنها كانت من النوع القديم.. فكانت كثيرة الاعطال والتوقف ولم تعد تقريبا صالحة للاستعمال.. وحين أخبرته بذلك.. فاجأنى باعطائى سيارة «زيستافا» كان الرئيس اليوغسلافى «تيتو» قد أهداها اليه حين بدأت يوغسلافيا انتاج مثل هذا النوع من السيارات بعد أن حصلت على ترخيص من شركة «فيات» الايطالية بتصنيعها.

أسعدتنى جدا هدية الرئيس لى.. وكنت أتفاخر بها أمام كل معارفى وأصدقائى.. فكيف لا أتباهى أمام الناس بأننى أركب سيارة عبد الناصر الخاصة،، التى أهداها له «تيتو».

ولكن يبدو أن مفاخرتى بسيارة الرئيس قد جلبت الى الحسد ففى ذات يوم استدعانى

الرئيس الى مكتبه، وحين دخلت اليه وجدته ثائرا وحين رآنى بادرنى متسائلا فى حدة: أين السيارة التى أعطيتها لك؟ فقلت له أنها موجودة.. فقال لا، ليست موجودة،، لقد بعتها يافهيم؟!

لقد فاجأنى الرئيس بهذا الاتهام الذى لم أكن أتوقعه.. فكيف أبيع هدية أهدانى اياها.. وهى الشىء الوحيد فى كل ما أملك الذى أفاخر به أمام الناس.

قلت للرئيس.. كيف أبيع الشىء الوحيد الذى أفاخر به فى حياتى.. انها موجودة مع زوجتى واستطيع احضارها الآن اذا أمرت.. سمع الرئيس ذلك منى.. فهدأ قليلا.. ثم طلب منى الانصراف دون أى تعليق.. ولكن يبدو أنه صدقنى. وبعد ثلاثة أيام تقريبا.. استدعانى الرئيس مرة أخرى، وقال «يافهيم أنا أسف، لقد كنت ضحية وشاية سخيفة قام بها أحد الحاقدين...» وفهمت من الرئيس أنه استمع الى مكالمة تليفونية كانت مسجلة بين اثنين من الذين أضيروا ببعض الاجراءات التى قامت بها الثورة وقال أحدهما للآخر فى هذه المكالمة.. ان محمود فهيم سكرتير عبد الناصر باع سيارة عبد الناصر ووضع ثمنها فى جيبه.

مراقبة التليفونات

من المعروف أن بعض أعداء الثورة وخصومها كانوا قد وضعوا «تحت المراقبة» لرصد مايقومون به من تحركات معادية للثورة.. فوضعت تليفوناتهم تحت المراقبة كجزء من تلك الاجراءات التحفظية.. وكانت المكالمات المسجلة على هذه التليفونات يتم تفريغها، ويكتب تقرير بمحتوياتها ويقدم الى الرئيس ليقف على مايدور فى الأوساط السياسية، وأوساط المعارضة والخصوم بالذات.

والذى حدث أن اثنين من خصوم الثورة، ممن كانوا يعرفون أن تليفوناتهم مراقبة.. أرادا أن يدسا على لدى الرئيس ليتخلص الرئيس من أحد أخلص العاملين معه.. فتناقلا هذه الدسيسة بينهم عبر الهاتف بقصد توصيلها الى الرئيس، ولكن بعد التحريات أيقن الرئيس أنها مجرد «وشاية» فشرح لى الأمر وانتهى الموضوع عند هذا الحد.

والحقيقة أن أعداء الثورة وخصومها كانوا يستخدمون التليفونات بهذه الطريقة كى يقولوا لعبد الناصر ما يريدون ولكن الرئيس لم يكن يعبأ بهم وبمحاولاتهم بعد أن اكتشفها فاستخدموا التليفونات لـ«ملاعبة» الرئيس وللوقيعة بينه وبين العاملين معه، خاصة المقربين منه ولكن عبد الناصر كان قادرا على أن يفرق بين ماهو «لعبة» وماهو حقيقى ولكن فى جميع الاحوال لم يكن يتخذ أى اجراء ضد هؤلاء من مروجى الاشاعات والوقيعة والبلبلة فكان يكتفى بقراءة التقارير عما تضمنته التسجيلات التليفونية ولكنه كان أحيانا يطلب سماع نص المكالمة التليفونية ليتحقق من الأمر.

عبد الناصر .. « البعبع »

ومن المعروف أن اجراء التسجيلات التليفونية التى كانت تجرى بين خصوم النظام وأعدائه اجراء متبع فى معظم بلدان العالم، ولا فرق فى ذلك بين عالم شرقى وعالم غربى، أو بين ديمقراطية ودول غير ديمقراطية.. فهو اجراء «للعلم» فقط.. ولم يكن يستخدم كقرينة أو دليل ادانة ضد المتكلمين.. وفى حالة عبد الناصر بالذات فان خصوم الثورة هم الذين استخدموا التسجيلات التليفونية ضده.. وليس هو الذى استخدمها ضدهم فكانوا يستخدمون التليفونات بعد أن علموا بتسجيل مكالماتهم، فى محاولة منهم لبلبلة الرئيس واثارته بالدسائس والاشاعات، بل وببعض النكت السخيفة !!

ورغم ذلك فانه لم يحدث - ولو مرة واحدة - أن نسج الرئيس موضوعا بسبب احدى المكالمات التليفونية المسجلة.. ولم يأمر باعتقال أو سجن أو محاكمة أحد لمجرد أنه تحدث فى التليفون فى أمر من الأمور الخطيرة.

لقد كان الرئيس «بعبع» فى نظر الكثيرين ممن لا يعرفونه، ولكن صورة «البعبع» بالذات كانت أبعد ماتكون عن حقيقة عبد الناصر التى يعرفها القريبون منه.

فقد كان عبد الناصر رجلا له «هيبة» وكان له «حضور» غريب وربما لهذا السبب كان يبدو فى نظر البعض ممن لا يعرفونه فى صورة «البعبع» أو المخيف.

والطريف أن عبد الناصر كان يعرف حقيقة نفسه.. وكان يعرف أنه له «هيبه» و «سطوة» تطغى على صورته فكان يحاول ان يكسر هذه الصورة متعمداً ببعض التصرفات التى فيها الكثير من الملاطفة والمداعبة. فكان يحب النكت والقفشات وكان فى لحظات سروره وسعادته يضحك ضحكة معينة لا يضحكها غيره من الناس.. فكان مميزا حتى فى ضحكته.

وقد يكون ضروريا هنا أن أذكر أن هذا الرجل «المخيف» أو «البعبع» كان طيب القلب الى أقصى درجة.. فكان من عادته دائما أن يأمر بذبح عجل أو خروف «لأهل الله» كما كان يقول.. ففى المواسم والاعياد كان يذكرنا بذلك دائما.. وكنا نحمل اللحم لنوزعه على الفقراء باسمه فى الاحياء الفقيرة.

عفيف اللسان

وطوال فترة عملى مع عبد الناصر فى بيته، والتى استمرت منذ البدايات الاولى للثورة حتى وفاته لم أسمعه يتفوه بكلمة نابية لاحد من العاملين معه، لم يكن يشتم أو يسب أحدا بتاتا، حتى فى عنفوان ثورته وغضبه بل انه لم يحدث أن طرد أحدا من أمامه بسبب غضبه عليه فكان أقصى مايمكن أن يقوله فى مثل هذه المواقف الغاضبة «اتفضل روح دلوقت».

كان عفيف اللسان الى أقصى درجة.. ولم يكن مكابرا أبدا، فكان يعتذر بنفسه حين يتأكد من أنه أخطأ.

لقد كان عنيدا و«راسه ناشفة» فى المسائل التى تتعلق بالمبادىء فقط... أما المسائل التى تحتمل «وجهات نظر» فلم يكن يعرف العناد وصلابة الرأى..

لم يكن عبد الناصر يقدم على تغليب وجهة نظره هو فى أمر معين الا حينما يرى أن مبرراته أقوى من مبررات وجهة النظر الاخرى، وبعد أن يقنع صاحبها بمبرراته وأسبابه.

كذلك كان من صفاته الواضحة الحسم والحزم وسرعة البديهة، فلم يكن يؤجل البت فى الامور أو القطع فيها، بل ولم يكن يستغرق فى بحثها وقتا طويلا، فكان يسكت برهة ثم ينطق بالحكم، أحيانا كنا نندهش لبعض القرارات والاحكام التى يتخذها فى أمر من الامور ولكن بعد فترة يتأكد لنا أنه كان القرار الحكيم والسديد ولم يكن هناك أقوى ولا أسلم منه.

عبد الناصر بالبيجاما

كان عبد الناصر فى بيته رجلا عاديا كأى موظف مصرى من الطبقة الوسطى فكان يرتدى البيجامة والروب فى غرفة نومه واذا نزل الى غرفة المكتب كان يرتدى القميص والبنطلون ولم يكن ينزل الى غرفة المكتب أبدا بالبيجامة أو الروب، ولم يكن يسمح لأحد أبدا أن يراه بالبيجامة والشبشب سوى فراش غرفة نومه الذى كان يعطيه الدواء فى مواعيده.

كان مقاس قدمه ٤٤ أو ٤٥ ومقاس قميصه ٥٣ وكذلك كان مقاس بيجامته التى كان يفصلها عند نفس الترزى «جنيدى» فى ميدان الاوبرا.. وفى الشتاء كان يرتدى «الكستور» من القطن المصرى، ولم يكن يحب أن يرتدى بيجامات من الصوف.. بل لم يكن يرتدى بلوفرات.. فكان يكتفى بالقميص الابيض والفانلة الداخلية مهما كان برد الشتاء قارسا.

وفى الصيف كان يرتدى البيجامات «اللينو»، ومهما كان الحر شديدا لم يكن يخلع سترة البيجامة أبدا، أو يبقى بملابسه الداخلية حتى فى غرفة نومه.

أما «العفش» أو الموبيليا فى بيت عبد الناصر فكانت كلها مصرية وهى «عهدة» وقع الرئيس باستلامها فى كشوف من الاشغال العسكرية، وكانت كل قطعة من أثاث البيت تحمل رقما معينا فى مكان غير واضح.

ولم يغير الرئيس «عفش» بيته منذ أن استلمه فى بداية الثورة وحتى وفاته.. ولكن بعد أن اضطرتنا الظروف لعمل بعض التحسينات وادخال بعض التعديلات على البيت.. قررنا اضافة طقم صالون آخر الى الطقم الموجود.. قام «على السيد» مدير الاشغال العسكرية بشرائه من أحد محلات القطاع العام، وعند وصول الطقم الجديد الى البيت قام محمد أحمد بالتوقيع

باستلامه.

وبعد وفاة عبد الناصر قام أولاده بتسليم «عفش» البيت الى رئاسة الجمهورية، واستلام اخلاء طرف بعد أن سلموا الأمانة الى أصحابها.

صور الزعماء

وفى غرفة مكتب الرئيس كانت هناك بعض اللوحات الزيتية لبعض المناظر الطبيعية وهى لوحات عادية جدا ولم تكن هناك أية لوحة من اللوحات المشهورة لأى من الفنانين العالميين كما لم تكن هناك أية تحف تخص القصور الملكية، وقد ظل الرئيس يرفض مجرد وجود أى شىء من ذلك فى بيته حين عرض عليه البعض ذلك بحجة أن بيته مزارا للزعماء والرؤساء من جميع أنحاء العالم، ويجب أن يبدو بالشكل اللائق أمامهم، فكان الرئيس يقول اننى أعيش فى بيت ولا أعيش فى متحف، ومن يأتى الى هنا يأتى ليرانى ولا يأتى ليرى معرضا للتحف والآثار.

لقد حرص عبد الناصر على تعليق صور بعض أصدقائه من زعماء العالم فى صالون بيته.. فكنت ترى صورة الزعيم اليوغسلافى تيتو والهندى نهرو والصينى شواين لاى وماوتسى تونج والسوفييتى خروشوف والغينى سيكوتورى والجزائرى بن بيلا.. ولا ترى أية صور أخرى معلقة على جدران غرفة الصالون سوى تلك الصور.. بل انه رفض أن نضع له صورة وسط كل تلك الصور لزعماء العالم، وقال «وهل يكرم المرء فى منزله».

بيت الدولة

وحين انتقل الرئيس ليقيم فى «قصر الطاهرة» لبعض الوقت ريثما يتم الانتهاء من ادخال بعض التحسينات على بيته، كان أول شىء يفعله عبد الناصر هو أنه اجتمع بأولاده وقد كانوا صغاراً فى ذلك الوقت وطلب منهم المحافظة على محتويات القصر وعدم اللعب أو العبث فى غرفه أو المساس بأى شىء من أثاثه، فهى «ليست ملكنا، وأى شيئ يكسر فسوف ندفع ثمنه للدولة».

والحقيقة أن الرئيس لم يكن حريصا على محتويات قصر الطاهرة فقط.. بل كان حريصا على محتويات بيته أيضا.. فكان يوصى جميع اولاده دائما بالحفاظ على محتويات البيت لانها ملك للدولة وليست ملكه..

وقد ترسخ فى أذهان ابناء الرئيس - على مر الايام - أنهم لا يعيشون فى بيتهم، ولا يملكون شيئا فيه.. بل يعيشون ضيوفا فى «بيت الدولة» فكانوا يتصرفون فى بيتهم كما يتصرف الضيوف فى بيوت الناس.

ولم يحدث أن كسر أولاد الرئيس شيئا من محتويات البيت.. بالرغم من أن هذا شأن الاطفال دائما فى أى بيت يكون فيه أطفال.. ولكن حرص عبد الناصر الزائد على ممتلكات الدولة فى بيته جعل أولاده مختلفين عن الاولاد فى أى بيت مصرى آخر.. فكانوا يمشون على أطراف أصابعهم - كما يقولون - خوفا من اى يفعلوا شيئا يغضب والدهم.

كانت الموبيليا جميعها من ممتلكات الاشغال العسكرية.. أما المطبخ والثلاجة والبوتاجاز والسخان والاطباق والصحون فكانت من ممتلكات الرئيس شخصيا.

اننى لا أذكر هنا أنه كان من بينها شيىء مميز.. فالصحون والاطباق والملاعق والشوك وجميع ادوات المائدة كانت عادية جدا مما يوجد فى بيوتنا جميعا.. ولم يكن فيها شىء من الفضة.. بل كانت من «الاستانلس» أو النيكل.. وكانت الثلاجة مصرية ماركة «ايديال» وكان السخان والبوتاجاز من المصانع الحربية..

وحينما كان يوجد أى أعطال فى تلك الاجهزة ببيت الرئيس كنا نستدعى أحد عمال الصيانة من الاشغال العسكرية ليقوم باصلاحه.. فالبيت كان تابعا للاشغال العسكرية.. وكل شىء فيه مملوكا لها تم تسليمه «عهدة» للرئيس وقع باستلامها فى كشف.. وبعد اجراء الاصلاح اللازم كان العامل يطلب منا التوقيع باستلام قطع الغيار أو الانتهاء من المهمة المكلف بها.. فكان العامل يدخل الى بيت الرئيس بـ «أمر شغل» وكان عليه عند عودته أن يثبت أنه قام بمهمته.. فكان الرئيس يوقع بنفسه لعامل الاصلاح، أو نقوم نحن بالتوقيع بدلا منه.

قميص عبد الناصر

كان عبد الناصر قدريا ومؤمنا الى أقصى درجات الايمان فيما يتعلق بـ «النصيب» أو الموت أو الحياة.. فلم يكن يعبأ ابدا بتقارير الأمن التى كانت تتحدث عن محاولات هنا أو هناك لاغتياله وكان يقول دائما «لوصدقت هولاء، لبقيت مسجونا فى بيتى لا أخرج منه الا الى القبر»!!

كانت هناك احدى السيارات المصفحة ضد الرصاص فى رئاسة الجمهورية.. ولكن الرئيس كان يرفض ركوبها حتى حينما كانت تأتينا التقارير الأمنية متضمنة تحذيره من محاولة اغتيال أعدها له البعض وهو فى طريقه الى أحد الاماكن المقرر زيارتها.

وأذكر هنا أنه فى يوم من الايام، وبينما كان الرئيس يهبط السلم خارجا ليركب سيارته فى طريقه الى مجلس الأمة.. قدمت له تقريرا عاجلا كان قد وصلنى فى التو من الأمن يحذر الرئيس من وجود «كمين» أعده له بعضهم لاغتياله فى الطريق.. وقرأ عبد الناصر التقرير ولم يعبأ به وركب سيارته رافضا أن يركب السيارة المصفحة قائلا لى «اركب.. اركب.. بلاش كلام

فاضى...» .

وسار موكب الرئيس.. فى نفس الطريق.. ووصل بسلامة الله الى مجلس الأمة..

ثم عدنا من نفس الطريق الى البيت..

وطوال الرحلة والعودة منها.. كنا فى غاية التوتر، والعصبية، والحذر.. بينما لم يبد على الرئيس أى أثر لما تضمنه التقرير..

وما أن وصلنا الى البيت عائدين بسلامة الله.. حتى تنفست الصعداء.ولما أبديت دهشتى من تحذيرات الأمن أمام الرئيس.. ضحك قائلا.. ياعم سيبك ، ماتدقش».

وأذكر أن اذاعة اسرائيل قالت ذات يوم أن محمود فهيم أحضر القميص الواقى من الرصاص للرئيس عبد الناصر، والحقيقة أن عبد الناصر لم ير فى حياته مثل هذا القميص، ولم يطلب ان يراه فما بالك بما قالته اسرائيل من اننى أقوم بالباس الرئيس هذا القميص فى كل مرة كان يهم فيها بالخروج من البيت.

الرئيس .. واغتيال كيندى

كان عبد الناصر يسمع مثل تلك الاخبار والاشاعات فيضحك ساخراً.. وحين كان يرانا نقوم بدفع ودفع الناس عنه مستخدمين العنف فى بعض الاحيان فى سبيل ذلك.. عنفنا الرئيس قائلا.. انتم فاكرين انكم بتحمونى من الموت.. لو أن الله أراد لى الموت فسوف أموت ولو كنت وسط مليون واحد زيكم.. فقلت له أن الحارس هو الله.. فهدأ الرئيس حين سمعنى أقول له ذلك.. وطلب منى عدم المبالغة فى حركتى مع الناس.. وأن أقلل من توترى وأحفظ أعصابى وسط الجماهير المندفعة لتحيته.

وبعد مرور عدة أيام على هذه الواقعة أغتيل الرئيس الامريكى «جون كيندى» فنزل عبد الناصر على السلم لدى سماعه الخبر ونادى علىّ بصوت مرتفع فتوجهت اليه فقال لى الرئيس كيندى اغتالوه يافهيم.. مش تقولى انكم بتحرسونى.. لو كانت حراستكم بتنفع لنفعت كيندى اللى بيحرسه أمهر جهاز حراسة فى العالم.

اطمأن الرئيس وهدأ حين كررت عليه قولى الحارس هو الله، فقال طبعا الحارس هو الله مش انتم.. بس علشان تعرفوا كده وماتبقوش تضربوا الناس بحجة انكم بتحرسونى.

لم يكن هناك أسبوع يمر دون أن يحمل الينا تقرير الأمن تحذيرا من وجود «كمين» لاغتيال الرئيس فى أحد الاماكن لكن عبد الناصر لم يكن يعبأ ابدا بها وكان يصر على أن يواجه قدره مهما كان بل وكان يرفض المبالغة فى اجراءات الحراسة، قائلا انه لن يموت الا فى الزمان والمكان اللذين أرادهما له الله ومهما فعلنا فان أمر الله ينفذ، لا محالة .

وفى سورية كانت اجراءات الامن وتأمين الرئيس وحمايته من اختصاص عبد الحميد السراج.. وكانت التقارير كثيرة عن وجود محاولات لاغتياله ولكن الرئيس لم يكن يهتم بها.

كان عبد الناصر يعلم ان المقصود ببعض التقارير هو عزله عن الجماهير، وعزل الجماهير عنه فكان مثل هذا التفاعل بين عبد الناصر والجماهير يثير الحسد والغيرة لدى البعض.

كذلك كانت بعض جهات الامن تحتاط لنفسها فتقدم التقارير عن وجود محاولات لاغتيال الرئيس دون ان يكون الأمر مؤكدا، معتمدة فى ذلك على مجرد التوقع والحدس والحرص حتى اذا وقعت المحاولة فعلا لا يستطيع أحد أن يتهمها بالتقصير أو الغفلة فكانت تكثر من تلك التقارير بناء على «التوقعات» ولكنها لم تكن توقعات فى محلها ذلك لانه اذا كان أعداء عبد الناصر وخصومه كثيرين الا أن احدا منهم لم يكن يجرؤ على أن يتحمل مسئولية اغتياله أمام الجماهير فى مشارق الارض ومغاربها فتركوه وشأنه يائسين بعد أن فاق حب الجماهير له كل حدود.

لقد كان عبد الناصر يعلم هذه الحقيقة جيدا فكان اعتماده على حب الناس له وليس على الامن أو جهاز الحراسة الخاصة فكان يشعر بالأمان وسط الناس اكثر مما كان يشعر به فى بيته ولهذا كان يعنفنا ويغضب منا كثيرا حينما يرانا نغالى فى تعاملنا مع الناس المندفعين فى أمواج هادرة ناحيته فكان يراها أمواجا تحمله بينما كنا نراها أمواجا تحمل عليه وكان يرى فيها الطمأنينة والأمن، فى الوقت الذى كنا نحن نرى فيها الخوف الشديد والخطر.

ooo

٩

- سر الرسالة التى وصلت الى عبد الناصر فى منديل .
- لماذا سحب الرئيس يده من ذراع ملكة اليونان؟!
- أمر سائقه بالسير فى الطريق المعاكس حفاظا على البروتوكول !!
- كبير الياوران يطلب العصير للرئيس.. بدلا من الويسكى!!
- عبد الناصر والمشير وزكريا يطلقون النار على عقب سيجارة !!
- حقيقة العلاقة بين عبد الناصر والدراويش !!

رغم مرور أكثر من عشرين عاما على وفاة عبد الناصر.. الا أن الحملة عليه من الخصوم والاعداء لم تهدأ خلال تلك الفترة الطويلة يوما واحدا.. فلم يكتف هؤلاء بأن يسلبوه فقط حسناته.. بل أضافوا اليه مساوىء الآخرين.

لم يترك هؤلاء شيئا فى الرجل الا وهاجموه..

لقد هاجموه فى دينه.. وفى ذمته.. وشرفه.. وأمانته.. وكأنه كان شيطانا فى صورة رجل.. وليس حتى مجرد رجل فى صورة شيطان...

لكن الحقيقة، كما رآها القريبون منه ، كانت على العكس من ذلك تماما..

والذى يسمع «محمود فهيم» وهو يتحدث عن عبد الناصر يوقن أنه لم يكن من طينة البشر.. بل كان من عجينة أخرى.. اختلطت فيه صورته الانسانية، مع صورة الملاك الطاهر.

وهكذا، فان أحدا من زعماء مصر - ربما من زعماء العالم أيضا - لم تختلف فيه الاقوال، والشهادات، كما اختلفت فى جمال عبد الناصر..

ولعل هذا وحده، دليلا على عظمة الرجل، دون الحاجة الى استدعاء أية أدلة أخرى.

ولندع هنا «محمود فهيم» يكمل الصورة التى رآها لجمال عبد الناصر وعرفها، على مدى أعوام طويلة أمضاها الى جانبه.. حارسا خاصا، وسكرتيرا..

كان عبد الناصر وفيا الى أبعد حدود الوفاء.. والذى ينظر الى أسماء أولاده - وهم أغلى شىء فى حياته، سوف يتأكد من حقيقة هذا الوفاء النادر.. فقد أطلق عليهم جميعا أسماء زملائه واصدقائه..

وأذكر هنا أننا كنا فى طريقنا الى أسوان فى رحلة بالقطار، وفى احدى المحطات توقف القطار ليتمكن الرئيس من تحية الجماهير المحتشدة لاستقباله..

وفجأة برز من بين الجماهير شخص يرتدى الجلباب الصعيدى التقليدى.. وأخذ ينادى «ياريس .. ياريس.. ياجمال ».

وجدت الرئيس يقول لى «هاته.. هاته..».. بلهفة لم أعتدها فيه.. فمددت يدى وجذبت هذا الشخص الى داخل القطار.. وحين رآه الرئيس استقبله بالاحضان.. وكأنه أب يستقبل ولده بعد غيبة طويلة.

اندهش الحاضرن لهذا المنظر المؤثر.. فلم نكن نعرف من هو هذا الشخص الذى استقبله عبد الناصر بهذه الحرارة والود.. وعرفنا من سير الحوار بينهما أنه كان جنديا ويعمل «مراسلة» خاصة لدى جمال عبد الناصر حينما كان لايزال ضابطا بالجيش..

وحين سأل الرئيس هذا الشخص.. واسمه امبابى عن أحواله الآن.. عرف أنه لا يعمل..

ويبحث عن عمل فعرض الرئيس عليه أن يعمل معه.. كما كان يعمل منذ سنوات.. وقد حدث فعلا أن بقى معنا فى القطار متسلما عمله منذ هذه اللحظة.

كذلك كان عبد الناصر دائما سريع البديهة، حاد الذكاء متقد الذهن دائما..

أذكر أنه فى احدى المرات التي كنا نستقل فيها القطار الى أسوان.. فوجئنا بشخص يلقى علينا «صرة» فى نفس النافذة التى يقف فيها الرئيس.. فانحنى الواقفون وتملكهم الارتباك.. ومرت الصرة بجوار رأس الرئيس واستقرت على أرضية القطار. فالتقطناها فى حذر خوفا من أن تكون «قنبلة».. وحين فتحناها وجدنا فيها «رغيف بتاو وبصلة».

الرسالة وصلت

كان الرغيف والبصلة معا فى منديل «محلاوى».. واندهشنا من هذا الشىء الغريب الذى لم نفهم معناه أو مقصده.. ولكن عبد الناصر - الصعيدى - كان الوحيد بيننا جميعا الذى فهم معنى هذه الرسالة..

أطل الرئيس برأسه الى النافذة.. وأخذ يهتف بأعلى صوته ناحية الشخص الذى ألقى بهذه الصرة قائلا.. الرسالة وصلت.. الرسالة وصلت.

سألنا الرئيس عن هذه الرسالة.. ومعناها.. فقال لنا سوف تفهمون كل شىء فى حينه.

وحين وصلنا الى أسوان.. أخذ الرئيس يسأل عن عمال التراحيل وأحوالهم المعيشية.. وطلب تقريرا مفصلا من وزارة العمل والشئون الاجتماعية حول هذا الامر..

وبعد ذلك وقف الرئيس لالقاء خطابه فى أسوان.. الى أن قال «الاخ الذى أرسل لى رسالة فى المنديل.. أحب أن أقول له.. أننا قررنا زيادة أجر العامل الذى يعمل بالتراحيل الى ٢٥ قرشا فى اليوم بدلا من ١٢ قرشا فقط.. كما تقرر تطبيق نظام التأمين الاجتماعى والصحى على عمال التراحيل لاول مرة فى مصر.

لقد فهم عبد الناصر الرسالة التى لم يستطع أحد غيره أن يحل شفرتها.. فالمنديل المحلاوى هو رمز عمال التراحيل.. وهم العمال الموسميون الذين يتغربون فى البلاد شرقا وغربا بحثا عن العمل الشاق.. ولا يجدون ما يأكلونه غير البتاو والبصل. البتاو نوع من الخبز الصعيدى الذى يصنع من الذرة مع مسحوق الحلبة..

لقد خرج عبد الناصر من طبقة شعبية.. فكان بالتالى يفهم لغتها.. وكانوا بطبيعة الحال يفهمون لغته.. ولهذا فقد أرسلوا رسالتهم بالطريقة التى يفهمها هو.. فلم يضمنوا شكواهم فى رسالة مكتوبة.. لانهم لا يعرفون الكتابة.. ولكنهم ضمنوها منديلاً «محلاوى» وهو رمزهم وشعارهم.. وكتبوها بالبتاو والبصل.. لانه طعامهم الذى لا يعرفون غيره.

ولو لم يكن هؤلاء واثقين من أن عبد الناصر يعرف لغتهم.. لما كتبوها بهذه اللغة «الشفرية».. وكان عبد الناصر عند حسن ظنهم به.. ففهم الرسال فورا.. ورد عليها فورا.. فمن كان يستطيع أن يقرأ رسالتهم غير عبد الناصر.. ومن كان يستطيع أن يرد عليها غير عبد الناصر...

يفهم بالعيــن

لقد كان هذا هو شأن عبد الناصر دائما .. سريع الفهم .. سريع البديهة .. فلم يكن يسمح لأحد أن يطلب منه شيئاً ، يكفى أن ينظر اليه نظرة واحدة ، فيفهم ماذا يريد .. وفوراً .. وكثيراً ماكان يدخل عليه أحد العاملين فى البيت ليطلب بعض النقود ، بسبب بعض الظروف الخاصة به .. فكان عبد الناصر يفهم ذلك بمجرد النظر اليه .. ولكنه لم يكن يدع له الفرصة ليطلب ذلك صراحة فكان يحدثه في اى شىء حتى يخرج هذا الشخص من عنده ، دون أن يكون قد تحدث معه فيما جاء من أجله.. ولكنه يفاجأ بعدها بأن الرئيس أرسلنى اليه بالمبلغ المطلوب الذى لم يطلبه أصلا .. فكان هذا الشخص يندهش ويسألنى .. كيف عرف الرئيس أننى في حاجة الى فلوس ؟ اننى لم أطلب منه ذلك صراحة !! .

فقد كان الرئيس معتزا بكرامته ، ويحاول قدر طاقته أن يحافظ على كرامة أى شخص فى حضوره .. ولم يكن يسمح لأحد أن يعرض كرامته للخدش .. فكان يعفى السائل من سؤاله .. حفاظا على كرامته .. وكثيرا ماكان يقول لى .. يا فهيم إعط فلانا مبلغ كذا ، دون أن يكون فلان هذا قد طلب منه هذا المبلغ .. وحين سألته مندهشا .. يا أفندم كيف عرفت أن فلانا هذا يحتاج الى فلوس ؟

يرد على قائلا .. يافهيم العين بتفهم كلام العين !!

صعيدى..فى اليونــان!

لم ينس عبد الناصر أنه رجل من الصعيد الجوانى ، حتى وهو فى قمة نجاحه .. بل كثيرا ماكان يضحى بالتقاليد البروتوكولية من أجل هذه الحقيقة الراسخة فى أعماقه ..

أذكر أننا كنا فى زيارة لليونان .. حين كانت لاتزال مملكة يرأسها الملك قسطنطين .. وقد كان البروتوكول الملكى يقضى بأن يرتدى الرئيس «الردنكوت» اثناء حضوره حفل العشاء الذى أقامه ملك اليونان على شرف الرئيس .. وقبل عبد الناصر أن يرتدى هذا الزى الغريب عليه على مضض ..

ولكن عند دخوله قاعة العشاء .. كان البروتوكول يقضى بأن تضع الملكة زوجة الملك يدها

فى يد الرئيس وتدخل معه الى القاعة .. وحين تقدمت الملكة لتضع يدها فى ذراع عبد الناصر سحب الرئيس ذراعه فى لطف وطلب منها أن تتقدمه وحدها !!

ففهمت الملكة على الفور أنه يرفض هذا التقليد البروتوكولى وأبتسمت فى هدق .. وتأخر عبد الناصر خطوة ليصاحب الملك .. وخلفهما سارت السيدة حرم الرئيس .

لم يكن عبد الناصر ليضحى بتقاليده العربية من أجل الرئاسة .. ولم يكن ينسى حتى فى حضره الملوك والزعماء أنه جمال عبد الناصر ، المحافظ ، المسلم ، البسيط .. وكان يضرب بكل تقاليد البروتوكول عرض الحائط حين تتناقض مع هذه الحقيقة التى يرفض أن يكون على غيرها .

فى الطريق المعاكس !

ورغم ذلك ، كان عبد الناصر أحرص مايكون على البروتوكول ، حينما لايتعارض مع حقيقته البسيطة .

أذكر هنا إنه فى يوم من الايام كان هناك أحد الزعماء فى زيارة رسمية لمصر .. وكان من المفروض أن هذا الزعيم سوف يزور أحد الاماكن ، وسيكون عبد الناصر فى استقباله عند وصوله الى هناك .. ولكن حدث خطأ فى ذلك اليوم كان من نتيجته أن تحرك ركب الضيف متوجها الى مكان الزيارة قبل أن يخرج الرئيس من بيته .. فكان علينا أن نسرع لنلحق به قبل أن يصل الى هناك فلا يجد الرئيس فى استقباله !!

وفى طريقنا الى مكان الزيارة .. وجدنا الطريق مغلقا .. فما كان من عبد الناصر الا أنه أمر سائقه بالصعود فوق الرصيف بالسيارة والمرور بالطريق المعاكس حتى نتمكن من اللحاق بالضيف قبل أن يصل الى هناك . وفعلا وصلنا فى اللحظة التى وصل فيها الضيف .. وقد تمكن الرئيس من استقباله على الباب كما كانت تقضى التقاليد البروتوكولية .

لم تكن المسألة اذن ضيقا بالبروتوكول لذاته .. ولم يكن تمرد عبد الناصر عليه لحب الظهور أو عملا بالمبدأ القائل (خالف تعرف) بل كان ذلك عملا مبررا له مايفسره من الاسباب المعقولة والمنطقية .. فالتقاليد الرسمية تقاليد لحظية ترتبط بظرف معين ، أما التقاليد الاجتماعية أو الدينية فهى تقاليد دائمة ، وراسخة ، فهى اذن الاولى بالرعاية والمحافظة .

الماء .. بدلاً من الخمر

صدر مؤخراً أحد الكتب، وقد كتبته ممثلة مشهورة ادعت أنها زوجة المشير.. قالت فيه أن عبد الناصر كان يشرب الويسكى ويلعب القمار ويحضرون الفاكهة له بالطائرة من الخارج،

https://t.me/montlq

الى آخر تلك الادعاءات التى هى أبعد ماتكون عن حقيقة عبد الناصر كما عرفتها طوال عهدى معه، وعرفها أيضا جميع من كانوا قريبين منه.. ومنهم الكثيرون ممن اختلفوا معه، وخاصموه، ولكن أحدا منهم لم يقل عن عبد الناصر ماقالته تلك الفنانة التى لم تر عبد الناصر فى حياتها، ولم يرها هو ولو لحظة واحدة حتى على الشاشة.

فقد كنت أنا ألازمه كظله فى البيت وخارج البيت منذ عام ١٩٥٤ وحتى وفاته لم أتخلف يوما واحدا عن رؤيته وأشهد الله أننى لم أر هذه الممثلة ولم أسمع أن عبد الناصر قد رآها.

وبمناسبة الحديث عن الخمر.. أذكر هنا أن البروتوكل كان يقضى فى بعض المناسبات بشرب هذا الخمر أو بما يعرف بـ«الأنخاب» وكان ياور الرئيس حريصا على التنبيه على منظمى تلك المناسبات التى كان الرئيس يشهدها فى زياراته للدول الاجنبية، بأن يقدموا للرئيس بعض أنواع العصير بدلا من الخمر فى عملية تبادل الأنخاب. وبعد أن أصيب بمرض السكر كانوا يقدمون له الماء فى الكوب الذى يشربه نخب مضيفيه.

لم يكن الرئيس وحده الذى يصر على ذلك.. بل كان جميع أعضاء الوفد المصرى المصاحب له.. فكنا جميعا نشرب العصير أو المياه المعدنية بدلا من الخمر فى حفلات الاستقبال التى كانت تجرى تكريما للرئيس فى البلاد الاوروبية.

ان ياور الرئيس عبد الناصر (الفريق سعد الدين الشريف).. لايزال حيا - أمد الله فى عمره - ويستطيع أن يشهد بذلك.. كما يستطيع أن يشهد به الكثيرون ممن رافقوا عبد الناصر فى زياراته الخارجية، وشاركوه شرب العصير أو الماء..

مطار .. فى البحر

واذا كانت هذه السيدة قد قالت أن عبد الناصر حول جزيرة غوريشة المواجهة لاستراحته بالمعمورة الى مطار للهليكوبتر فأن الجزيرة نفسها تشهد على كذب هذا الادعاء.. فهى مجرد صخرة كبيرة لا تصلح لمجرد السير على أرضها بالاقدام.. فما بالنا بمطار للطائرات الهليكوبتر الذى يستلزم سطحا أملس يتسع لهبوط الطائرة واقلاعها.. كما يحتاج الى مكان أوسع من تلك الصخرة.

ان هذه الجزيرة لا تزال على حالها الى اليوم.. منذ أن أوجدها الله فى هذا المكان.. وهى صغيرة جدا وليست أكثر من مجرد صخرة كبيرة بطول مائتى متر وعرض يتراوح مابين خمسة أمتار وعشرين مترا وهى - كما قلت - لا تصلح لشىء مطلقا.. وقد وضع عليها كشك خشبى استغله خفر السواحل لتأمين عملية الحراسة لاستراحة الرئيس من ناحية البحر.

اما استراحة الرئيس بالمعمورة، فهى استراحة متواضعة لا ترقى لمستوى فيلا صغيرة من

الفيللات المنتشرة على ساحل البحر بالاسكندرية أو أى مكان آخر.. أما الحدائق المحيطة بها فهى مملوكة للاهالى ولوزارة الاصلاح الزراعى ولا تخص الاستراحة مطلقا.

وقد ظل الرئيس يرفض ادخال أية اصلاحات أو تعديلات على هذه الاستراحة حتى مات.

وبالمناسبة، كان الرئيس يقيم فى هذه الاستراحة مقابل ايجار شهرى.. وقد ظل يدفع الايجار عنها طوال حياته حتى تنازل عنها أولاده بعد الضجة التى أثارها الدكتور يوسف ادريس رحمه الله حولها..

وهناك خطاب رسمى من السيدة تحية حرم الرئيس موجه الى مجلس الشعب يفيد تنازلها رسميا عن استراحة المعمورة بعد أن كان مجلس الشعب قد أصدر قراراً بتخصيصها لعائلة السيد الرئيس بعد وفاته.

المائدة السحرية

أما المائدة الكهربائية، أو السحرية التى جاء وصفها فى كتاب السيدة المذكورة.. فهو شىء لم يكن له وجود فى بيت الرئيس الذى كان قبل ان يسكنه بيت ناظر المدرسة الثانوية العسكرية فى منشية البكرى.. وبيت بهذا التواضع من غير المعقول أن تكون فيه «مائدة سحرية» تدار بالكهرباء على غرار المائدة التى جاء وصفها فى الكتاب المذكور.

لقد كانت مائدة الطعام فى بيت عبد الناصر اكثر تواضعا من اية مائدة فى أى بيت مصرى من بيوت الطبقة المتوسطة.. وأنا واثق من أن مائدة الطعام فى بيت هذه السيدة أكثر فخامة من مائدة الطعام التى كانت فى بيت عبد الناصر والتى جلس اليها زعماء العالم وقادة الدول لتناول الطعام مع رئيس مصر، وليس للعب القمار وشرب الويسكى كما يحدث على الموائد فى بعض البيوت الاخرى التى ليس من بينها بكل تأكيد بيت عبد الناصر.

لقد كان هناك عدد من الموائد الصغيرة التى كنا نضعها الى جوار بعضها لتشكل مائدة طويلة حين تقضى الظروف بذلك فى حالة اقامة مأدبة لاحد كبار الزوار فى بيت الرئيس أو عند عقد اجتماع هام مع كبار المسئولين فهى مائدة للطعام، وللاجتماعات أيضا، أما فى الظروف العادية فاننا كنا نكتفى بمائدة واحدة من هذه الموائد ليأكل عليها الرئيس وعائلته.

لقد رفض عبد الناصر أن نقيم له «حمام سباحة» فى بيته بسبب أنه سوف يكلف الدولة — وليس عبد الناصر — أربعة آلاف جنيه فقط حين قدم مدير الاشغال العسكرية (على السيد) الرسومات الهندسية للحمام مع التكاليف.. رفضها عبد الناصر فورا حرصا منه على «فلوس الناس» كما قال فى ذلك اليوم.. فكيف يتحدثون عن رجل يعتبر مبلغ أربعة آلاف جنيه فقط نوعا من البذخ والاسراف لا مبرر لهما.

لقد كانت القراءة هي هواية الرئيس الاولى.. وفي الصيف كان يهوى السباحة.. أما في أوقات فراغه - وهي نادرة جدا - فكان يلعب الشطرنج.

وأذكر أنه في أواسط الخمسينات.. وكنا في استراحة الرئيس بالقناطر، وكان معه وقتها عبد الحكيم عامر والبغدادي وزكريا محيي الدين.. ولم يجدوا شيئا يفعلونه.. فدخلوا في مباراة للرماية بالمسدس. علقوا هدفا على شجرة بالحديقة عبارة عن علبة عصير فارغة.. وأخذوا يتناوبون الرماية عليها بالمسدس.. ثم اقترح الرئيس هدفا أصغر من علبة العصير التي كانوا يرمون عليها.. ولم يجدوا سوى «عقب سيجارة» !! ثبتوا عقب السيجارة على الشجرة.. وأخذوا يتناوبون عليه رميا بالرصاص.. ولكن أحدا منهم لم ينجح في اصابة الهدف.. وحين رأوني أقف بالقرب منهم ضاحكا.. ناداني الرئيس قائلا.. انت واقف بتضحك.. تعالى ورينا شطارتك.. وتصيبه..

أمسكت بالمسدس على سبيل التجربة.. ولم أكن واثقا من إصابة الهدف الذي فشل في اصابته عبد الناصر وعبد الحكيم وهما من الرماة الماهرين .. ولكنى - بعون الله - أصبته بمجرد الطلقة الاولى. وما أن رأوني أصبت الهدف بهذه الدقة.. وكانت مجرد مصادفة.. حتى انهالوا على ضربا وهم يجرون خلفي ضاحكين !!

عبد الناصر .. يلعب

كان الرئيس عبد الناصر يحب لعب الشطرنج أو التنس مع عبد الحكيم عامر.. ولم أرهما في حياتي يلعبان القمار.. سواء في بيت الرئيس أو بيت المشير.. بل أنني لم أكن أعرف ما إذا كان عبد الناصر قد سمع عن كلمة «كوتشينة» أم لا..

لقد كان عبد الناصر زاهدا في متع الحياة.. وكانت متعته الوحيدة هي السيجارة.. وقد حرم منها أخيرا بسبب المرض.. فلم تعد له متعة بعدها.

كان عبد الناصر يعيش في بيت متواضع. وقد ظل متواضعا حتى بعد أن أدخلنا عليه بعض التحسينات رغما عنه. فقد ظل يرفض ذلك.. الى أن أصيب بالقلب وأرغمه الاطباء محذرين من صعود السلم. فقمنا بتركيب «أسانسير» بين الطابقين لم يكن يستخدمه الا نادرا.

وقد فوجئت بالممثلة المذكورة تتحدث عن يخت ملكي اسمه فخر البحار قالت ان عبد الناصر كان يركبه في رحلات سياحية بالبحر الاحمر

والحقيقة أنني لم أشاهد في حياتي يختا بهذا الاسم.. ولم يذهب عبد الناصر الى البحر الأحمر في حياته الا ليزور الجبهة وفي أواخر أيامه.. ولم يكن من هواة الصيد اطلاقا رغم أنه كان من هواة السباحة.

وقد كان هناك اليخت الملكى المحروسة الذى آلت ملكيته من الملك فاروق الى الدولة وتم تغيير إسمه الى الحرية.. ولم يركبه عبد الناصر فى حياته سوى مرتين فقط. الاولى فى زيارته للجزائر بعد الاستقلال مباشرة.. والثانية فى زيارته ليوغسلافيا.. ولا أذكر أن عبد الناصر قد استخدم هذا اليخت الا فى هاتين الزيارتين فقط..

وهذا أمر طبيعى أن يستخدم رئيس دولة يختا مملوكا للدولة.. وهو ما يختلف عن اصدار أمر ببناء يخت خاص به يتكلف الملايين، وهو الذى رفض انشاء حمام سباحة فى بيته.

عبد الناصر والدراويش

أما حكاية عبد الناصر مع المنجمين وقارئى الطالع.. فهى من أسخف ماقرأت هجوما على الرجل..

أذكر أننى طلبت منه ذات يوم أن يقابل «الشيخ أحمد رضوان» وهو رجل صالح من كبار الصوفيين بالصعيد، وكان رحمه الله صديقى الحميم.. وقد ألح على طلبا لمقابلة الرئيس لرؤيته والسلام عليه.. وحين طلبت من الرئس أن يراه رفض قائلا.. انت عارفنى أنا لا أحب الدروشة، ولا الدراويش اللى بيقولوا بكره سوف يحصل كذا.. واعمل كذا.. ما باعملش الا اللى أنا عايز أعمله واللى أنا شايفه صح.

قلت للرئيس ملحاً وراجياً... الراجل ده مش بتاع الكلام ده.. ده مجرد راجل صالح عايز يقابلك علشان يراك ويدعو لك.. مش علشان يقرأ لك الكف أو يقول لك أعمل كذا ولا تعمل كذا.

وافق الرئيس - بعد الحاح منى - على مضض لمقابلة الشيخ رضوان وطلب منى أن تكون هذه المقابلة بين موعدين حتى لا تطول مقابلته له.

وقبل وفاة الشيخ رضوان كتب مقالا أعطاه لى أنا مع الفريق سعد الدين الشريف، يحذر فيها من وقوع النكسة.. كما يحذر من المخابرات.. فلم نطلع الرئيس عليها.. لاننا نعلم تماما أنه لا يؤمن بقراءة الطالع وينظر الى المؤمنين به باستخفاف.

لقد كان عبد الناصر رجلا مؤمنا بحق.. كما لم يكن يفعل الا مايراه مناسبا وصحيحا.. ولا يعقل - وهو القائد والزعيم - أن يجرى وراء أمور يعتبرها من قبيل التخريف والسخف.. أقول ذلك عنه وأنا من ضمن المنخرطين فى صفوف الصوفية منذ سنوات بعيدة، ولا أرى فى الصوفية تهمة يجب الدفاع عنها.

ooo

١٠

- من الذى فتح خزينة الرئيس بعد وفاته ؟
- السادات يأمر بسحب السيارات من بيت عبد الناصر !
- عبد الناصر يغير سجائره .. مجاملة لأصدقائه .
- هدى عبد الناصر.. سكرتيرة بدون أجر .
- الرئيس مات بالسكر.. وليس بالقلب .

يرى كثيرون.. أن وفاة عبد الناصر فى الخمسين من عمره تمثل لغزا يبحث عن حل..

ولكن محمود فهيم الذى لازمه طوال خمسة عشر عاما من عمره لا يرى فى الأمر لغزا يثير الدهشة وأن ماكان سيثير الدهشة حقيقة هو ألا يموت جمال عبد الناصر فى هذه السن المبكرة!!

لقد ذهب جمال عبد الناصر الى الموت برجليه..

لقد سعى هو الى الموت.. وليس الموت هو الذى سعى اليه بعد أن أفنى الساعات والايام والسنين عملا لا يتوقف.. ولا ينتهى.. فكيف لا يموت شابا فى الخمسين، وهو الذى كان يحمل نفسه من الكد والتعب فوق ما كان مقدرا لها أن تحمل؟ فكان من الطبيعى أن تتوقف فى منتصف الطريق.

ولكن، ماهى حقيقة وفاة عبد الناصر.. وقصته مع المرض.

ان شخصا غير محمود فهيم الذى كان يلازمه كظله فى البيت وخارجه، لا يستطيع الاجابة عن مثل هذا السؤال، وما أثاره من أقاويل وآراء. تضاربت.. واتفقت.. وهو هنا يتحدث عن قصة عبد الناصر مع المرض.. وكيف تعامل مع مرضه.. وهل ضعف أمامه، واستسلم لآلامه؟ أم ظل كما كان.. جمال عبد الناصر.. بشموخه وكبريائه..

يقول محمود فهيم:

لم يغير المرض من عادات عبد الناصر أو من شخصيته.. والحقيقة أنه كان من ذلك النوع من الرجال الذين يصعب تغييرهم.. حتى حينما أصيب بالقلب.. وهو أخطر الامراض التى يمكن أن يصاب بها اى انسان..

ظل عبد الناصر على عادته اليومية.. لم يغير منها شيئا، فكان يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل.. يقرأ الصحف العالمية ويستمع الى محطات الاذاعة، ويطالع التقارير المحلية عن سير العمل.

وحين كنا نطلب منه أن يرتاح.. كان يقول لنا أنه لا يجد راحته الا فى العمل.

ولما علم بمرض القلب لاول مرة ظل يومين فى غرفة نومه لم يتصل بأحد ولم يتصل به أحد.

وبعد أن عرفنا بحقيقة مرضه من الاطباء.. لم يكن أحد منا يعرف كيف يقابله أو ينظر فى وجهه، حتى لا يحس بنظرة الاشفاق التى لم يكن يحب أحدا أن ينظر اليه بها.

وبعد يومين من الانقطاع للراحة، عملا بنصيحة الاطباء له، وهى أطول فترة يقضيها الرئيس فى غرفة نومه.. اتصل بى من غرفته بالطابق الاعلى تليفونيا.. سألنى عن سير الامور. وطلب منى عدم الانزعاج وطمأننى على حالته قائلا أنه بخير والحمد لله على كل شىء.

يدخن .. بالأمر

الحقيقة أننى كنت أتصور أننى سوف أجده منزعجا، أو قلقا، بسبب هذا المرض الخطير.. لكنه لم يكن كذلك أبدا.. بل على العكس فقد كان متماسكا، منشرح الصدر، وكأن شيئا لم يحدث.

كان الرئيس يدخن السيجارة، وهى متعته الوحيدة التى لم يكن له من متع الحياة غيرها..

فى البداية كان يدخن السيجارة «كرافن». ثم تحول منها الى «الكنت» حين وجد جميع المحيطين به يدخنون هذا النوع من السجائر.. ولم يشأ أن يكون مختلفا عنهم.. كما أن تدخينه لنفس النوع كان يسمح له بأن يعزم على ضيوفه وزملائه ببعض السجائر. ولاشك ان اختلافه فى نوع السجاير لم يكن يسمح له بذلك.

كان عبد الناصر ميالا الى الصناعة الوطنية.. الا فى السجاير، فقد اضطر الى تدخين نفس النوع من السجائر الذى يدخنه المقربون منه من الزملاء والنواب.

ورغم ادمانه للتدخين فى بعض مراحل حياته الا أننى لم أشعر فى يوم أنه خرمان بسبب توقفه عن التدخين خاصة اثناء الصيام فى شهر رمضان فلم تكن تظهر عليه اعراض مدمنى التدخين من التبرم والضيق بسبب حرمانه من السيجارة وحين ألح عليه الاطباء بضرورة الاقلاع عن التدخين بسبب المرض أقلع عنه بكل سهولة ودون أن يترك لديه أى أثر.

وأذكر أن بعض زواره وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة، كانوا لا يدخنون أمامه حين علموا باقلاعه عن التدخين حتى لا يضايقونه ولكنه كان يطلب منهم أن يدخنوا ويشعل لهم السيجارة بنفسه حين كان يراهم مصرين على عدم التدخين أمامه مؤكدا لهم أن تدخينهم أمامه لا يضايقه ولا يتأثر به، ولا يسبب له أى توتر أو قلق أو يحيى لديه الرغبة فى العودة الى التدخين.

هو والتصوير

لم يكن لدى عبد الناصر أى ميل خاص للتصوير والوقوف أمام الكاميرا ومعظم الصور التى التقطت له كانت تلقائية وفى وضع الحركة.. ولم يتعمد ذات مرة أن يقف أو يتخذ هيئة أو وضعا معينا أمام الكاميرا بل كان يكره ذلك ويهرب منه قدر المستطاع بالرغم من أنه كان يحب التصوير فكان الوقوف خلف الكاميرا أحب اليه من الوقوف أمامها.. فكان يقوم بتصوير أولاده وزوجته وأحفاده بنفسه وكان يقوم بدور المصور فى المناسبات العائلية كأعياد الميلاد التى تكون فى البيت وكان يفهم كثيرا فى أنواع الكاميرات وخصائصها كأحد خبراء التصوير.

أذكر هنا أنه ذات يوم دخلت اليه فى غرفة مكتبه لكى أخذ رأيه فى نتيجة الحائط للعام

الجديد، وهو تقليد كان متبعا فى ذلك الوقت، حين كانت الدولة تطبع نتيجة حائط رسمية يتم توزيعها على المكاتب والهيئات والمصالح الحكومية.. واذكر أن النتيجة فى تلك السنة كانت تحمل صورة له.. وحين نظر اليها رفض أن تطبع صورته على نتيجة الحائط.. وطلب تغييرها بصورة للاهرامات أو السد العالى أو لوحة مرسومة تعبر عن انجازات الثورة.

وقد رفض الرئيس كل محاولاتى للابقاء على صورته مطبوعة على تلك النتيجة وقال لى الاشخاص زائلون والاعمال هى الباقية، وأنا أفضل أن تحمل هذه النتيجة صورة لأحد الاعمال أو المنجزات أفضل من أن تحمل صورة لى.

تحية .. فى المستشفى

لقد كان وقت عبد الناصر كله للعمل.. ولم يكن لديه وقت يعطيه لاولاده.. غير بضع ساعات قليلة فى نهاية كل اسبوع.

وأذكر هنا أن السيدة حرم الرئيس جاءتها آلام المخاض والولادة بينما كان مشغولا فى صحبة الزعيم السوفييتى خرشوف الذى كان فى زيارة لمصر فى ذلك الوقت..

دخلت على الرئيس.. وهمست فى أذنه بالخبر.. وقلت له أن المدام فى حالة وضع.. فقال لى.. انقلوها الى المستشفى فورا.

وبالفعل تم نقلها الى مستشفى الدكتور مظهر عاشور بالقبة.. وتمت الولادة بحمد الله.. وعدت الى الرئيس لاخبره بقدوم طفل جديد.. فقال سموه عبد الحكيم تيمنا باسم صديق عمره عبد الحكيم عامر...

كان عبد الحكيم عامر قد أطلق اسم جمال على ابنه الاكبر.. كما أطلق اسم ناصر على ابنه الثانى.. وكان الرئيس يحب أولاد عبد الحكيم عامر كأولاده.. كما كان عبد الحكيم يحب أولاد عبد الناصر ايضا.. وقد فرح المشير كثيرا حين علم بأن عبد الناصر قد أطلق اسمه على أصغر أولاده.

وبالرغم من ان أى زوج أو أب فى مثل تلك الحالات الحرجة يكون اكثر قلقا واهتماما.. الا أن الرئيس لم يكن لديه الوقت للاهتمام بشئون البيت والاولاد فى ذلك اليوم.. بل انه لم يجد الوقت لزيارة السيدة زوجته بالمستشفى بعد ولادتها.. وانتظر حتى عادت الى البيت فقد كان الزعيم خروشوف فى القاهرة.. وكان الرئيس فى صحبته طوال الوقت..

ونظرا للمجهود الكبير الذى اعتاد الرئيس على بذله طوال سنوات حكمه.. كان طبيعيا أن يقع فريسة للمرض فى نهاية المطاف.

كان هناك بالمنزل طبيب مقيم هو الدكتور أحمد ثروت الذى اختاره الرئيس بنفسه.. وكان

يتولى الاشراف على صحة الرئيس.. وحين كان الامر يحتاج الى طبيب أخصائى كان الدكتور ثروت هو الذى يتولى تحديد اسمه والاتصال به واستدعاءه والوقوف معه على الحالة الصحية للرئيس..

كذلك كان هناك دكتور صيدلى مقيم بالمنزل، وهو الدكتور صلاح جبر الذى كان يتولى الاشراف على دواء الرئيس واعطائه له فى موعده.. كما كان هو الذى يحضر الدواء للرئيس ويقوم بعملية الكشف على الاغذية لضمان سلامتها..

بطبيعة الحال كانت هناك صيدلية صغيرة فى بيت الرئيس.. تحتوى على الادوية الهامة التى يستخدمها الرئيس أو التى قد يحتاج اليها فى بعض الظروف الطارئة.

وكان الدكتور رفاعى كامل ومنصور فايز وأنور المفتى، من الاطباء الاخصائيين الذين كان يستعين بهم الرئيس فى بعض حالات مرضه.. وكان يتم استدعاؤهم الى البيت لتوقيع الكشف الطبى عليه عند الضرورة.

بين الرئيس .. والمفتى

كانت علاقة الرئيس بهولاء الاطباء يسودها الود والتفاهم.. فهم أطباؤه المسئولون عن صحته.. وهو رئيسهم الذى يحبونه ويقدرونه، ويهتمون به فوق اهتمامهم بأى مريض عادى.. ولهذا فقد اندهشت جدا لبعض الكتاب الذين ادعوا زورا وافتراء على الرئيس حين قالوا بأنه قتل الدكتور أنور المفتى لأنه شخص حالة الرئيس على أنها مرض نفسى أو عقلى.

لقد كانت علاقة الرئيس بهؤلاء الاطباء اكثر من ممتازة وخاصة الدكتور أنور المفتى الذى كنت ألمس من الرئيس فى كلامه عنه كل احترام وتقدير لمكانته العلمية.. كما كان للدكتور المفتى فى كلامه معنا عن الرئيس بعد خروجه من عنده فى كل مرة كان يزور فيها الرئيس.. حديث ملؤه الحب والتقدير والاجلال.. ولم يحدث فى يوم من الايام أى شىء يعكر صفو العلاقة بين الرئيس وطبيبه.. وقد حزن الرئيس جدا لدى سماعه بنبأ وفاة الدكتور المفتى وظل بعدها ولفترة طويلة يذكره بكل خير حتى مات عبد الناصر ففوجئنا بمثل تلك الحملة الضارية فى الهجوم عليه والتى كان اتهامه بقتل الدكتور المفتى جزءا منها.

وبعد وفاة عبد الناصر على هذا النحو المفاجىء، كثرت تلك الاقاويل هنا وهناك حول أسباب وفاته.. فمن قال أنه مات مسموما ومن قال أنه مات بالسكر.. ومن قال انه مات بالقلب.. ولكن الدكتور رفاعى كامل - رحمه الله - أكد لى قبل وفاته أن الرئيس لم يمت بالقلب.. وانما مات بسبب نوبه سكر.. بعد أيام أمضاها مرهقا فى التوفيق بين الاطراف العربية المتناحرة فى مؤتمر القمة الذى انتهى قبل وفاته بساعات.

وأنا من ناحيتى، أميل الى تصديق الدكتور رفاعى كامل فى تشخيصه لسبب وفاة عبد الناصر.. فقد كان الدكتور رفاعي واحدا من أشهر وأكبر أطباء القلب فى مصر.. وكان موجودا ساعة الوفاة.. وقام بفحصه بنفسه.. وأجرى له الاسعافات اللازمة وقت حدوث تلك الازمة التى سبقت الوفاة وتسببت فيها.

كان الدكتور أحمد ثروت وهو طبيب الرئيس المقيم، والملازم له على الدوام، هو الذى كان يطلب الطبيب الاخصائى المناسب حسب ما تستدعيه حالة الرئيس الصحية.. وكان الدكتور ثروت يظل بجوار الرئيس فى وجود أى طبيب أخصائى آخر حتى ينتهى من إتمام عملية الكشف الطبى عليه.

ولقد كانت علاقة الرئيس بجميع اطبائه علي مايرام.. وكان كثيرا ما يستجيب لنصائحهم قدر طاقته.. كما كان يستقبل الطبيب القادم اليه فور وصوله ولا يدعه ينتظر طويلا تقديرا لوقت الاطباء الذين كانت لهم عياداتهم الخاصة.. وكان يعلم ان أى وقت يضيعه الطبيب فى انتظاره هو من حق مرضاه الذين قد توجد بينهم بعض الحالات الخطيرة التى لا تتحمل انتظارا.. ولهذا كان الرئيس يلتقى بأى طبيب يحضر للكشف عليه فور وصوله الى البيت..

الاطباء السوفييت

من بين الفريق الطبى المعالج للرئيس لم يكن هناك طبيب أجنبى واحد.. فكان الرئيس يثق فى قدرة الطبيب المصرى الى أقصى درجة.. وحين تقرر سفره الى موسكو للعلاج لم يكن ذلك بسبب يأسه من علاج الاطباء المصريين.. بل كان بسبب حاجته للعلاج بالمياه المعدنية الموجودة فى بريخيا و«تسخالطوبو» وذلك حسب نصيحة الطبيب السوفييتى «شانوف» الذى زاره فى البيت هنا فى القاهرة قبل سفره الى الاتحاد السوفييتى.

وحين اطلع الاطباء الروس على البرنامج العلاجى الذى وضعه الاطباء المصريون للرئيس.. وافقوا عليه.. ولم يدخلوا عليه أية تعديلات.. وأضيف اليه فقط العلاج بالمياه الكبريتية..

وقد كانت السيدة هدى كبرى أبناء الرئيس تقوم بمساعدتنا فى تنظيم حياة الرئيس فى آخر أيامه.. فكانت تعمل كسكرتيرة خاصة لوالدها بعد تخرجها من الجامعة.. وكانت تقوم بعملها متطوعة دون أجر ودون أن تكون معينة فى الرئاسة.

والحقيقة أنها كانت منظمة ودقيقة فى عملها.. ولم يحدث مطلقا أن شعر أى واحد منا - نحن أعضاء فريق السكرتارية الخاصة بالرئيس - بأن السيدة هدى هى ابنة الرئيس.. فلم تكن تتصرف معنا على هذا الاساس .. ولم تطلب منا - حتى ولو تلميحا - أن نتعامل معها على أساس انها ابنة الرئيس.. بل كانت واحدة منا.. وضعت نفسها فى خدمتنا حين رأتنا

جميعا نضع أنفسنا فى خدمة الرئيس والعمل على راحته..

وبعد انضمام هدى الينا فى فريق السكرتارية الخاصة.. لم يطرأ أي تعديل على نظام العمل الذى كان متبعا.. فقد ظل اعتماد الرئيس علينا فى المقام الاول.. ولم يعف أى منا من أية مسئولية كان عليه أن يؤديها.. وبقى كل واحد منا يودى العمل الذى كان يوديه فى السابق.. كما ظل الرئيس يكلفنا بما كان يكلفنا به دون أى تغيير يذكر..

أما هدى فقد كانت مسئولة عن تنظيم غرفة المكتب.. وكل ما يتعلق بها من أمور.. وقلما كانت تتحمل مسئوليات خارج هذا الاطار..

وبرغم دخول عبد الناصر فى سلسلة من المعارك الصعبة مع المرض.. الا أنه لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر بسبب ذلك.. وحين اشتد عليه المرض.. قلت له ذات يوم.. الله يكون فى عونك.. كيف تتحكم فى أعصابك امام كل مايحدث بالاضافة الى المرض.

فقال لى.. يافهيم لقد عودت نفسى على ذلك.. ودربتها جيدا على الكبت والسيطرة.. لقد كنت فى بداية الامر أغضب وأثور.. لكنى دربت نفسى على قوة التحمل والسيطرة، ويبدو أننى نجحت فيها الى حد معقول.. لابد أن أكون هادئا حتى تأتى أفكارى وقراراتى هادئة وصحيحة..

الرئيس .. مجاملاً

لقد كان الرئس مرحا ومنبسطا فى أشد حالات الصراع مع المرض.. فكان يسألنى عن أولادى بالاسم.. وكذلك كان يعرف اسماء ابناء جميع العاملين معه وكان يتابع اخبارهم منا.. فيسأل عن فلان الذى نجح وعن فلانة التى خطبت أو تزوجت.. بل ويسأل عن أمهاتنا وأبائنا وعن صحتهم على الدوام.

كذلك كان الرئيس يجامل العاملين معه فى المناسبات المختلفة فكان يرسل باقة ورد باسمه فى حفلة زفاف أحد أبناء العاملين، أو يأمر بصرف مساعدة مالية، وأحيانا يقدم هديا عينية مثل جهاز بوتاجاز أو ثلاجة أو غيرها مما تحتاجه الاسرة فى بدايها.

وأذكر أن والدتى توفيت فى اليوم التالى لوفاة الرئيس، وحين مرضت قبل وفاتها دخلت مستشفى المعادى للقوات المسلحة، وبقت تعالج فيه حتى توفيت بعد الرئيس بيوم واحد.. وكان الرئيس يسألنى عن صحتها للاطمئنان عليها أولا بأول.. كما كان يعفينى من بعض واجباتى لأتمكن من زيارتها بالمستشفى.

وفى يوم وفاة الرئيس كنت بالمستشفى فى زيارة لوالدتى.. وعدت الى البيت مرهقا.. وفوجئت باتصال تليفونى من السكرتارية بالرئاسة يطلبون منى سرعة الحضور فورا..

وهنا أحسست بأن فى الامر شيئا.. فنزلت على عجل.. وما أن وصلت الى البيت حتى علمت بالخبر الصاعق.

لم أجد فى بيت الرئيس شخصا لم يكن يبكى.. بدءا من أفراد الحرس وانتهاء بأعضاء مجلس قيادة الثورة.. وكان ابناء الرئيس يحاولون دخول الغرفة التى يرقد فيها جثمان والدهم.. فكان الجميع يحاول منعهم.. وكانت السيدة تحية زوجة الرئيس هى اكثر الموجودين فى تلك اللحظة حزنا ولوعة..

لقد حاولت دخول غرفة النوم لالقى عليه النظرة الاخيرة.. لكنى لم أتمكن من ذلك.. كان الزحام شديدا.. الكل فى حالة ذهول.. ولا أذكر من الذى اقترح نقل الجثمان الى الثلاجة بقصر القبة.. ريثما يتم الانهاء من الاعداد اللازم لاجراءات الجنازة.

ورغم انتقال الجثمان فى نفس ليلة الوفاة الى قصر القبة.. الا أن البيت ظل على حاله من الزحام الشديد.. فأناس يدخلون وأناس يخرجون.. معزون من كل مكان.. من العائلة ومن غير العائلة.. ولم يعد فى مقدور أحد السيطرة على شىء، أى شىء.. حتى نفسه.

وقد حرص الكثير من زعماء العالم والرؤساء العرب على الحضور الى البيت لتقديم واجب العزاء بأنفسهم الى أرملة الرئيس وأولاده.

وجاء القذافى وأعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية.. وجاء حافظ الاسد وجعفر نميرى وأنديرا غاندى وغيرهم..

البيت الحزين

بقى الحزن مخيما على البيت وساكنيه لفترة طويلة.. فقد بقيت السيدة الجليلة تحية كاظم أرملة الرئيس وبناتها «هدى» و«منى» يرتدين الملابس السوداء.. حدادا على وفاة الرئيس لاكثر من عام.. وكانوا حريصين على زيارة قبره كل اسبوع تقريبا.

بعد ذلك.. لم يعد هناك مانقوم بعمله فى البيت.. فأنتقل محمد أحمد وزيرا برئاسة الجمهورية مع الرئيس. السادات.. ثم انتقلت أنا بعد عام تقريبا من وفاة الرئيس الى وزارة الحكم المحلى كما تم سحب معظم العاملين بالبيت الى رئاسة الجمهورية.. ثم سحبت سيارات الرئيس ولم تعد هناك سوى سيارة واحدة، الى جانب اثنين فقط من الحرس، وعامل واحد أو اثنين لقضاء حاجات البيت من السوق..

لقد أصبح البيت الذى كان لسنوات طويلة محط أنظار العالم وقبلة الزعماء والرؤساء والقادة.. مجرد بيت من بيوت منشية البكرى.. لا يزوره الا الأهل والاقارب وبعض الاصدقاء ممن حفظوا العهد وصانوا الامانة.

بعد ذلك انتقلت المسئولية المالية الى السيدة الجليلة مباشرة.. فكانت هى التى تتسلم معاش الرئيس وتقوم بالصرف منه بنفسها على شئون المنزل بعد أن كنت أنا ومحمد أحمد نحمل مسئولية هذا العمل اثناء حياة الرئيس.

هيبة عبد الناصر

من بين جميع الذين كانوا يعملون فى بيت الرئيس. ظل حامد داود يؤدى عمله الذى كان يؤديه فى حياة الرئيس حيث كان يذهب الى السوق لقضاء حاجيات البيت كل يوم..

ورغم وفاة الرئيس.. الا أن هيبة أولاده لم تضيع، ولم تتأثر، ازداد اعتزازهم بأنفسهم وظلوا معتدين بها.. كما كانوا فى حياة والدهم.. والحقيقة أن شيئا من حياتهم لم يتغير بعد وفاة الرئيس.. فقد كانوا يعيشون حياة عادية.. ليس فيها اى نوع من أنواع الترف.. وقد بقوا على حالهم بعد غياب أبيهم.. فلم يشعروا بالانتقال من حياة الى حياة أخرى، أو من حال الى حال.

وقد ظلت غرفة مكتب الرئيس، هى الغرفة الوحيدة التى لا يدخلها أحد حتى من افراد الاسرة بعد وفاته وقد أغلقت.. أو كأنها ألغيت من البيت.. وبين فترة وأخرى كانت تفتح لاجراء عملية النظافة أو التهوية ليس الا..

وقد تردد بعد وفاة الرئيس مباشرة أن الخزينة التى كانت بمكتب الرئيس ويحتفظ بها ببعض الاوراق والوثائق الهامة، قد فتحت وسرقت منها بعض الاوراق الخاصة.. وقد سألنى الرئيس أنور السادات شخصيا، حين كان يحقق فى الامر، عما اذا كنت قد رأيت أحدا يدخل الى غرفة مكتب الرئيس بعد وفاته أو يفتح خزينته.. ولكنى لم أكن قد رأيت شيئا من ذلك.. فلم أعرف ما الذى أخذ من خزينة الرئيس أو من الذى أخذه.

لم أحاول معرفة مايدور حول سرقة الخزينة.. لاننى فهمت أنها مسألة سياسية.. فاعتبرت الامر لا يعنينى.. لاننى مسئول فقط عن الشئون الخاصة بالرئيس.. ولست معنيا بأى أمر من تلك الامور السياسية التى كانت تدور حولى.

لقد كان سامى شرف وغيره كثيرون يدخلون غرفة المكتب، ولكنى لم أر أحدا يقوم بفتح الخزينة، ولم أكن على علم بمحتوياتها.

ooo



يعطى بصمته لأول بطاقة
تصدر فى القاهرة لإثبات
الشخصية عام ١٩٥٨



الجمهورية العربية المتحدة
الإقليم المصرى

بطاقة إثبات شخصية

صادرة طبقاً لأحكام القانون رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٥

رقم واحد	قسم مصر الجديدة مركز	محافظة القاهرة مديرية

يسرى مفعول هذه البطاقة لغاية أول مارس سنة ١٩٦٨
تحريراً فى أول مارس سنة ١٩٥٨
توقيع الموظف
توقيع المراجع
المدير العام

الاسم جمال عبد الناصر حسين
تاريخ ومحل الميلاد ١٦ يناير سنة ١٩١٨ الإسكندرية
الديانة مسلم
الحالة الاجتماعية (أعزب - متزوج - أرمل - مطلق)
الوظيفة أو المهنة رئيس الجمهورية العربية المتحدة
محل الإقامة ١ شارع منشية الطيران - منشية البكرى
محل العمل القصر الجمهورى بالقاهرة
فصيلة الدم
توقيع صاحب البطاقة
توقيع أو بصمة



يتمشى مع زوجته وابنه "حكيم" باستراحة القناطر الخيرية



الأبناء الثلاثه . خالد الى يمينه وعبد الحكيم ثم عبد الحميد الى يسارة فى حديقة البيت بمنشية البكرى

يلتقط فيلماً لزفاف ابنته منى الى اشرف مروان



مع حاتم صادق وقرينته هدى وإبنتهما الأولى هاله فى
بيتهما بمنشية البكرى



يدخل فى مباراة شطرنج مع ابنه خالد ، بينما قرينته وابنه عبد الحميد وأشرف مروان يتفرجون



ينظر بحنان الى أول حفيدة له إبنة هدى وحاتم صادق وهى على ذراع خالها عبد الحكيم جمال عبد الناصر



منى عبد الناصر وابنها جمال فى استراحة القناطر
وعبد الحكيم عبد الناصر فى الخلف وخالد عبد
الناصر الى اليمن يرمقان جمال الجد وجمال الحفيد



مثل أى أب يلاعب أطفاله



فى المنصورة عام ١٩٥٨ والطفل قد جاء من القرية مرتديا ملابس
العيد وأمنية تملأ خياله أن يلتقى بالرئيس

فى القاهرة عام ١٩٦٢ والطفل كان يشارك فى عرض عسكرى
بملابس الميدان كاملة ويحمل أيضاً المدفع الرشاش بين يديه



دمشق ١٩٦١



حنان الأبوة وبراءة الطفولة

يتوسط أصدقاء ابنه عبد الحكيم فى عيد ميلاده

حرص عبد الناصر على حضور حفلات أعياد الميلاد لأولا
العاملين معه مثل أولاده تماما وفى الصورة مع جمال إبـ
محمود فهيم سكرتيره الخاص



فـى أســوان ١٩٧٠
ومداعبة الطفل تدور حول
طاقيه أسوانيه كان
يضعها على رأسه

الطفل يعانقه ويحتضنه ويتشبث به

مع أبنائه وأبناء
صديقه
عبد الحكيم عامر

مع أولاده وأولاد أصدقائه
يلاعبهم أمام البيت



عام ١٩٥٩ وعبد الحكيم الصغير لم يزل فى الخامسة من عمره



فى القاهرة وغداة إعلان الوحدة مع سوريا .. ووسط استقبال تحتشد فيه الجماهير لتحيته وتقبل تحيته لم يفته الموقف الذى طرأ كلمح البصر أمامه بكل اللهفة فى قلبه وعلاماتها على وجهه يتجه بمشاعره نحو طفل صغير عبر الشارع فجأه أمام سيارته وداهمه الخطر



العلاج فى تسخالطوبو : بعد التحسن الواضح فى صحته بدأ يتريض على قدميه فى الحدائق المحيطة بالمصحة • ويجلس على دكة خشبية فى الحديقة يتابع حركة الناس •

ببساطه متناهية يجلس أمام بيته



يتمشى فى أحد الحدائق وحده



مع الجنود على جبهة القتال يستمع منهم ويتحدث اليهم

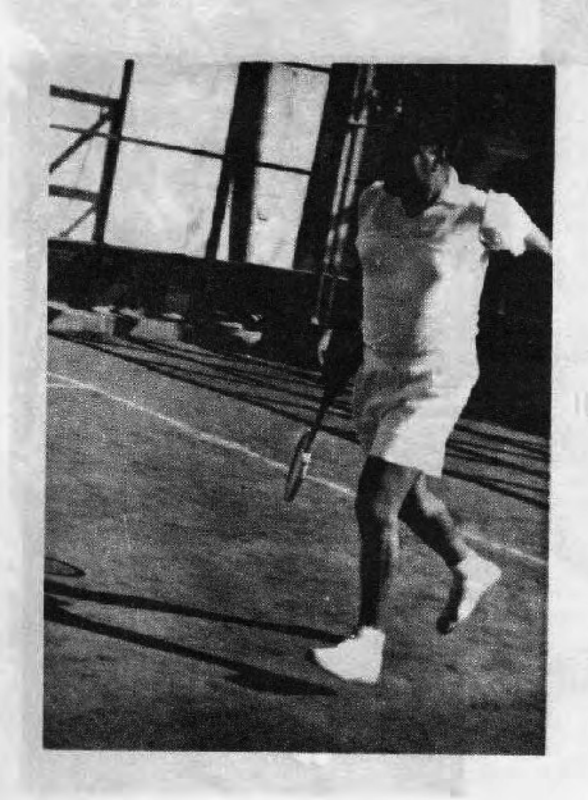
وسط القوات المقاتله .. وايديهم جميعاً تمتد لمصافحتة
ويده تمتد لمصافحتهم .



يلعب البنج بونج



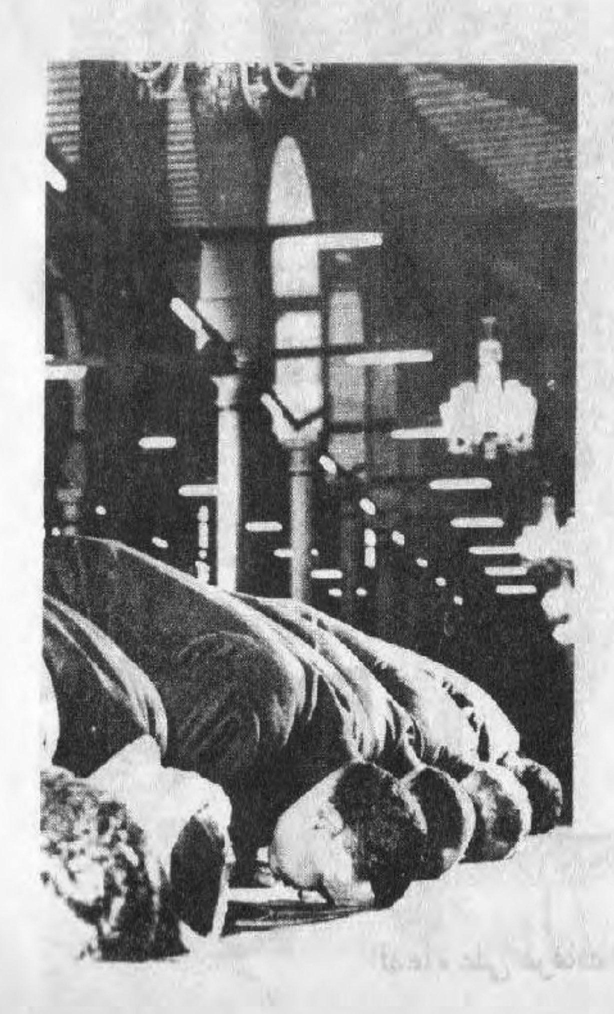
يستعد لتوجيه ضربه



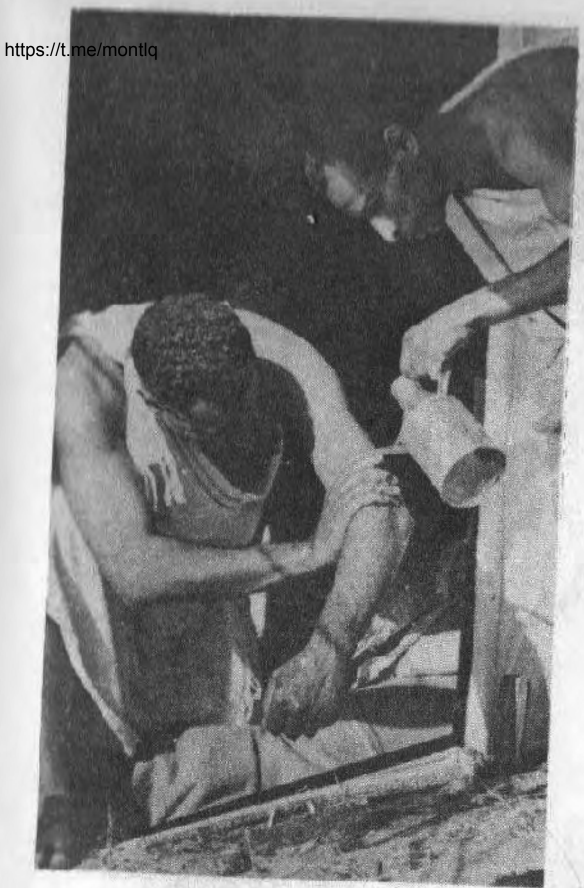
يستعد لصد
الضربات بضربات
ساحقة ماحقة



يؤدى فريضة الحج
ومعه الأمير فهد
وزير الداخلية فى
ذلك الوقت



صلاة عيد فى مسجد
الامام الحسين بالقاهرة



وضوء على باب الخيمة
التى أقام فيها عندما
سافر للحج عام ١٩٥٤



السعى مع المطوف بين
الصفا والمروة



الدعاء على عرفات



صلاة بملابس الإحرام
فى الكعبة عام ١٩٦٥



الإتجاه إلى عرفات



يقف خلفه محمود فهيم « ظل الرئيس »

هذا الرجل .. وذكرياته

هذا الرجل هو " أجندة " عبد الناصر...!

ولكن الحديث معه ليس مجرد تقليب فى صفحات قديمة .. فهو هنا لا يروى "قصة الامس".. ولا يبكى على« الاطلال »ولا يجتر "ذكريات" ولكنه فقط يتحدث عن جمال عبد الناصر.. ولهذا فهو يتحدث عن الحاضر.. والمستقبل !

لم يكن جمال عبد الناصر مجرد حاكم، او رئيس اعتلى الكرسى الذى اعتلاه العشرات من الحكام والملوك على مر التاريخ . ولكنه كان «مشروعا» للبناء والتحضر والتقدم . ومن هنا فانه كان رجلا ينتمى الى المستقبل ويرتبط بالغد .

وربما لهذا السبب - وحده - كان حديث محمود فهيم عن عبد الناصر هو حديث عن "السيمفونية الناقصة " فى تاريخ مصر .

كلنا يعرف جمال عبد الناصر الرئيس الذى ثار.. وحرر.. وكافح.. وأمم.. وقرر.. واصدر.. واعلن .. ولكن القليلين منا من يعرفون عبد الناصر.. هذا المواطن كيف كان يعيش.. ويضحك .. ويبكى .. ويلبس .. ويأكل.. وينام.. ويغضب .. ويفرح .

هذا هو الوجه الآخر لجمال عبد الناصر الذى لا يعرفه سوى من كانوا قريبين منه. ومحمود فهيم - سكرتيره وحارسه الخاص - كان واحدا من هؤلاء.. بل كان اكثر هؤلاء قربا منه .

ولعلنا لا نقول ان محمود فهيم يكشف لنا هنا اسرار عبد الناصر الخاصة ، فلم يكن فى حياته شىء خاص ، يحق له ان يحتفظ به لنفسه ، ولا يطلع الآخرين عليه . فقد كان عبد الناصر "ملكية عامة".. وكما أمم القناة والمصانع والمشروعات .. " أمم حياته" فاصبحت ملكا للامة !

مركز
الحضارة
العربية
للاعلام والنشر

